المعلم في الفكر التربوي الإسلامي

إعداد

أ.د. شريف محمد محمد شريف

اسم الكتاب: المعلم في الفكر التربوي الإسلامي

اسم الكاتب: أ.د/ شريف محمد محمد شريف

تصميم الغلاف: عبدالله عباس

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

المعلم في الفكر التربوي الإسلامي

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129]

إهداء

إلى أبي وأمي رحمهما الله.

زوجتي وأولادي وأحفادي.

إخوتي وأخواتي.

أساتذتي وزملائي وطلابي.

المعلمين والمعلمات.

أهلنا في فلسطين.

مقدمة

لكل مجتمع سمات خاصة تميزه عن غيره من المجتمعات، وتختلف هذه السمات باختلاف الأيديولوجية أو الفلسفة أو العقيدة التي يعتنقها المجتمع، كما إن لكل مجتمع أهدافه الخاصة التي تنبع من عقيدته، والسبيل إلى تحقيق هذه الأهداف يكون عن طريق التربية؛ فبالتربية يتم تشكيل الفرد، وبالتربية يتم تحقيق التماسك الثقافي بين أبناء المجتمع الواحد.

والتربية الإسلامية – كغيرها من نظم التربية في المجتمعات الأخرى – لها فلسفتها وقيمها وأهدافها الخاصة، التي تنبع من القرآن والسنة، ومما يميز التربية الإسلامية عن غيرها أنها جعلت من مكارم الأخلاق هدفها الأول الذي تسعى إلى تحقيقه وغرسه في نفوس أفرادها.

وفى تصنيف الإمام الغزالي لآيات القرآن، يذكر أن ربع آى القرآن الكريم تتعلق بالأخلاق وحدها، ثم يقسم هذه الأخلاق إلى قسمين: القسم الأول ويتعلق بالأخلاق الفطرية وعدد آياته 764 آية قرآنية، أما القسم الثاني المتعلق بالأخلاق العملية فإن عدد آياته 741 آية قرآنية.

مما سبق ندرك مدى اهتمام الإسلام بالأخلاق، وقد انعكس هذا الاهتمام على نظام التعليم في المجتمع الإسلامي، وفى نظر الإسلام إلى التربية على أنها: "مهنة لها دستورها الأخلاقي".

ومن منطلق تكامل التربية الإسلامية وشمولها، فإن دور المعلم لا يقتصر على تنمية النواحي العقلية للمتعلمين، وإنما يجب أن يتعدى دوره إلى الاهتمام بالمتعلم من جميع جوانبه: العقلية والاجتماعية والنفسية والخلقية، ولا يستطيع المعلم أن يؤدى هذا الدور إلا

إذا كان معدا إعدادا جيدا، لا من الناحية الأكاديمية والمهنية والثقافية فحسب، وإنما من الناحية الخلقية أيضا.

ولقد أدرك مفكرو التربية المسلمون هذه الحقيقة المتعلقة بالوظيفة الأخلاقية للمعلم، فوجدنا هذا الإدراك ينعكس على أهداف التربية الإسلامية التي أولت اهتماما كبيرا ببيان ما يجب أن يتحلى به المعلمون من مكارم الأخلاق ومحاسن المزايا.

وهذا الكتاب جزء من رسالة الماجستير الخاصة بالكاتب، بعد إجراء كثير من التعديل عليه: بالحذف والإضافة وإعادة الترتيب، ويتناول الكتاب المعلم في الفكر التربوي الإسلامي، من حيث: مكانته، إعداده، المعلم والأخلاق، وآداب المعلمين في الفكر التربوي الإسلامي... ويتكون الكتاب من ستة فصول:

الفصل الأول: مكانة المعلم في الفكر التربوي الإسلامي.

الفصل الثاني: إعداد المعلم في الفكر التربوي الإسلامي.

الفصل الثالث: الدور الأخلاقي للمعلم في الفكر التربوي الإسلامي.

الفصل الرابع: آداب المعلم مع نفسه.

الفصل الخامس: آداب المعلم مع الطلبة.

الفصل السادس: آداب المعلم في درسه.

الفصل الأول

مكانة المعلم في الفكر التربوي الإسلامي

تمهيد:

لا يعرف دين مثل الإســلام، ولا كتاب غير القرآن، أشــاد بالعلم، وحث عليه، ورغب في طلبه، ونوه بمكانة أهله، وأعلى من قدرهم، وبين فضــل العلم وأثره في الدنيا والآخرة، وحض على التعلم والتعليم، ووضـع لذلك كله القواعد الحاكمة، والأحكام الضـابطة، وذلك في مصادر الإسلام الأساسية: القرآن الكريم، والسنة النبوية.

وحسبنا أن أول آيات نزلت من الوحي الإلهي على قلب رسول الله – صـلى الله عليه وسـلم – أشـارت إلى فضـل العلم، حيث أمرت بالقراءة، وهي مفتاح العلم، ونوهت بالقلم وهو أداة نقل العلم، وذلك قوله تعالى: "اقْرَأْ بِاسْـمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَـانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" (القلم).

وفي هذا الفصل سوف يتم تناول مكانة المعلم في الفكر التربوي الإسلامي، ويتضمن الحديث عن الرسـول – عليه الصــلاة والســلام – كقدوة للمعلمين، ودلائل ارتفاع مكانة المعلم، مثل: الشهرة الواسعة التي كان يحظى بها، والتي جعلته محط أنظار الطلاب من أقطار مختلفة، وتعدد الألقاب التي كانت تطلق عليه وتنوعها.

مكانة المعلم في الفكر التربوي الإسلامي:

المعلم كلمـة تثير في الـذهن كـل معـاني الإجلال والاحترام، وتـدعو إلى التقـدير والإعجاب، وعليها تعقد الآمال لتقدُم المجتمع، وبسببه تنتشر الفضائل وتسود القيم، إنهم كما وصفهم " الآجري " – استنادا إلى معاني بعض الآيات والأحاديث:" فضـلهم عظيم، وخطرهم جزيـل، ورثـة الأنبيـاء، وقرة عين الأوليـاء، الحيتـان في البحر لهم تســتغفر، والملائكة بأجنحتها لهم تخضـع، والعلماء في القيامة بعد الأنبياء تشـفع، ومجالسـهم تفيد الحكمة، وبأعمالهم ينزجر أهل الغفلة، هم أفضل من العُباد، وأعلى درجة من الزهاد".

لقد اتخذ الإســـلام من التربيـة أداة لـدعم القيم الأخلاقيـة في المجتمع، والمعلم في الإســـلام هو القائم على أمر هذه التربية؛ فهو أكثر قربا من المتعلمين الذين يتأثرون به خاصـة: "وهم في تلك السن الصـغيرة، بمظهره، وشكله، وحركاته " وسكناته، وإرشـاداته، وإيماءاته، وألفاظه التي تصدر عنه، وسلوكه الذي يبدو منه".

فالمعلم هو الذي ينمى السلوك الخلقي في نفوس التلاميذ، إذا كان يمتلك هذا السلوك، وبالتالي يصبح قدوة حسنة لهم، لذا وجدنا أن الإسلام قد أنزله منزلة عظيمة اكتسبها من منزلة العلم في الإســـلام، تلك المنزلة التي رفع الله بها أولى العلم، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّـحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَـحُوا يَفْسَـحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُـزُوا فَانشُـــزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (المجادلة11)".

وقال تعالى: " شَـهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْـطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (آل عمران18)". ويعلق الإمـام الغزالي على هـذه الآيـة فيقول: "فانظر كيف بدأ سـبحانه وتعالى بنفسـه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم، وناهيك بهذا شرفا وفضلا".

والســـنة النبوية – أيضـــا – أنزلت المعلم منزلة عظيمة، نجدها في أقوال الرســـول المتعددة، ومنها تفضـيل الرسـول العالم على العابد، عن أبي أمامة الباهلي – رضـي الله عنه – أن النبي – صـلى الله عليه وسلم – قال: "فضـل العالم على العابد كفضـلي على أدناكم»، ثم قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: " إنَّ اللهَ وملائكتَه وأهلَ السَّـماواتِ والأرضِ حتَّى النَّملةَ في جُحرِها، وحتَّى الحوتَ، ليُصلُّونَ على مُعلِّمِي النَّاسِ الخيرَ".

وقال الإمام علي بن أبي طالب – رضـــي الله عنه –: (إن من حق العالم عليك: أن تســـلِّم على القوم عامة وتخصـــه بالتحية، وأن تجلس أمامه، ولا تعينه في الجواب، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، ولا تقول له ســـمعت فلاناً يقول كذا ولا أن فلاناً يقول بخلافك، ولا تضـــعن عنده عالماً، فإنما هو بمنزلة النخلة تنتظر متى يسـقط عليك منها شيئاً).

إن المكانة العظمى للمعلم عبر عنها أحد المحدثين بأن المعلم هو أهم شخص لهؤلاء الأولاد، وهو أهم إنسان في المجتمع، فهو لا يعمل من أجل نفسه، كما إنه لا يشغل هذه الوظيفة كي يتقاضـــى راتبا عندما يصـــرف، بعض الأشـــخاص ممن يعملون في البنك يجدون متعة في ذلك، إنه لشـيء ممتع لهم، ولكنه ليس ممتعا بما يكفي بالنسـبة للمعلم، ثم ينصـح من ارتضـى لنفسـه هذه المهنة أن يقلع عن التفكير في النقود، وإنما عليه أن يتعامل مع هذه المهنة من منطلق حبه لها: " يجب أن تعلم مكانتك، وأن تحب عملك، ويجب عليك أن تعقد النية على أنك سـوف تقوم بمهمة عظيمة، وأن تسـتمتع بها؛ لأن المعلمين الذين لا يشـعرون بهذه الطريقة ليسـوا – في الحقيقة – معلمين جيدين، وإنهم يحترقون بسرعة تاركين المجال للآخرين".

لقد قام المعلمون بعديد من الأدوار التي قد يظن البعض أنها لا تتفق وطبيعة مهنتهم، وإنما قاموا بها من منطلق مكانتهم في المجتمع، وهذا يمكن ملاحظته على مر العصور، ففي العصـور الإسـلامية المختلفة نجد أن العلماء المسـلمين في حلقات الدرس بالمسـجد أو في المدارس قد تصـدوا لقوة الاستعمار التي تعرض لها العالم الإسـلامي، ومن هنا لم يتمكن الاسـتعمار من إذلالهم أو السـيطرة عليهم، بسـبب صـلابة عقيدتهم وقوة إيمانهم التي وقفت حائلا دون تحقيق المستعمر لأغراضه.

وفى العصـر الحديث – أيضـا – وجدنا من يشـيد بدور المعلم في مواجهة المخاطر التي قد تحيط بالأمة، فعندما هزم نابليون بروســـيا في موقعة جينا هزيمة كبيرة، فحطم قوتها، ولم يرفع الأمة المهزومة من الحضـيض إلا مدارس الشـعب، وتعميم التعليم، قال بسمارك بعد الحرب السبعينية: لقد غلبتنا جارتنا بمعلم المدرسة".

وهذا الدور العظيم الذي يقوم به المعلم جعله الســبب الرئيس في الحكم على تقدم أو تخلف الأمم؛ حيث لا يوجد أي شعب من الشعوب وصل إلى مرحلة عالية من التقدم إلا وكان سبب هذا التقدم هو اهتمام هذا الشعب بالمعلم أكثر من اهتمامه بغيره من أصحاب المهن الأخرى، ويبدو هذا الأمر واضحا في عدد من البلدان التي اختصرت طريق التقدم بما وفرته للتعليم من مال وللمعلم من مال ومنزلة دونها منزلة الطبيب والمهندس،وهـــذا الدور العظيم للمعلم في حياة الشـــعوب وتشـــكيل عقلها عبر عنه أحد المحدثين بقوله:" إنني أرى نفسي بانيا للعقول".

فإذا كانت هذه هي وجهة نظر بعض المجتمعات بالنســـبة لأهمية المعلم ودوره في خدمة المجتمع، فإن الأمر يختلف أكثر في ظل الحضـــارة الإســـلامية؛ حيث لا يعد من قبيل المبالغة القول: بأن المعلم قد احتل منزلة كبيرة في، تلك المنزلة التي لم يصـل إليها معلم في الحضـارات القديمة او الحديثة، ولم يحتل تلك المقدمة بسـبب قربه من السـلطة وخدمة النظام والسـهر على حمايته، وإنما احتلها بسـبب عبء الرسـالة التي يضـطلع بها وعظمها؛ فالمعلم في الإسـلام مهمته السـهر على هداية الناس والأخذ بأيديهم إلى طريق الله سبحانه وتعالى.

الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو القدوة للمعلمين:

وشخصية الرسول – عليه الصلاة والسلام – تعكس الصورة المثالية، – والواقعية في الوقت نفسه – التي ينبغي أن يكون عليها المعلم، والتي يجب أن يقتدى بها المعلمون: " فقد اعتلى أعلى مراتب العلم والأخلاق والطريقة والوسيلة وذلك لأنه تربية الرب سبحانه وتعالى، فقد اختاره أُميا ليربيه على فكر الإسلام ومسلكه".

إن مهمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – كانت مهمة تهذيبية تعليمية، وقد حدد القرآن الكريم هذه المهمة في عدد من الآيات، يقول تعالى: "هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" (الجمعة2)، لذلك كان الرسول – صلى الله عليه وسلم دائم الدعاء – في افتتاح الصلاة بقوله:" اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت".

والمتتبع لسيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم –، والمتتبع لمواقف الأنبياء مع أقوامهم يدرك أن هذه المواقف كانت تشمل الجوانب التعليمية والتهذيبية في الوقت نفسه " فرسل الله – والنبي على رأسهم– كانوا معلمين من الطراز الأول".

فقد أفاض القرآن الكريم في إظهار الدور الذي ينبغي أن يقوم به المعلم، وذلك من خلال الحديث عن شخصية الأنبياء؛ فهم يمثلون القدوة لجميع أفراد المجتمع، في أعمالهم نفع للآخرين، وهم أعلى طبقات الخلق الفاضل والطيبة والمروءة والسماحة، وغيرها من الأخلاق التي تسهم في التأثير على الآخرين، وتدفعهم إلى طريق الخير الذي يقيم العلاقة بين جميع أفراد المجتمع على أسس طيبة.

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للأنبياء ككل، فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يمثل القدوة في اســـتخدام عديد من الأســـاليب التربوية في معاملاته مع أفراد المجتمع: الصغير والكبير، الرجال والنساء، العالم والجاهل، المسلم وغير المسلم، فقد كان النبي – صـلى الله عليه وسـلم – المثل الأعلى للمعلم، يعطى للكل ويسـتمع إلى الكل، يسـتشـير أصحابه للاستعانة بخبراتهم في المواقف التي تحتاج إلى مشورتهم، فقد كانت التربية عند الرســـول – صـــلى الله عليه وســـلم – تتعدى الكلمة إلى العمل البناء والخلق الفاضـــل والتعديل لسلوكيات الآخرين كما أمر الإسلام.

وتجدر الإشارة إلى أن مواقف الرسول– صلى الله عليه وسلم – مع المسلمين عموما لا تخلو من بث الفضـــائل فيهم، فقد كان يثبت الأخلاق الفاضـــلة في نفوس المســـلمين جميعا؛ حتى يكونوا قدوة لغيرهم في أخلاقهم ومعاملاتهم، وكان يأمرهم بحســـــن العمل، ولين المعاملة والصدق في الحديث إلى غير ذلك من الفضائل.

والمعلم – كونه وريثا لرســـالة الأنبياء – قد أنزل منزلة عظيمة في الفكر الإســـلامي دون غيره من أصـحاب المهن، فقد أشـاد القرآن الكريم برسـالة المعلم في قوله تعالى:" مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُـونَ" (آل عمران79) فانظر كيف كرم الله – تعالى – المعلم فنسـبه إليه تعالى، فسـماه ربانيا، والرباني هو المنسـوب إلى الرب كما يقول ســـيبويه، والإخلاص هو الذى يجعل المعلم ربانيا، وبالتالي يجعل طلابه ربانيين يرون آثار عظمة الله في كل ما يدرسونه.

ونظرا للأهمية العظمى التي نالها المعلم فقد نُظر إليه على أنه الذي يأخذ بيد غيره من الناس إلى طريق الله سـبحانه وتعالى، حتى قال بعضـهم قديما: " لولا المربى ما عرفت ربى".

ودور المعلم في الإسلام يعد امتداداً لدور الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وبالتالي فهو مطالب بأن يتمثل هذا الدور جيدا، وأن يكون على علم بالهدف الأسـاسـي الذي حدده الرسـول من بعثته وهو الدعوة إلى مكارم الخلاق، ولذلك وجب عليه مراعاة الدور الذي يقوم به ألا وهو خلافة الرسول – صلى الله عليه وسلم – في تبليغ الرسالة، وتربية الأخلاق، كما أن عليه أن يكون قدوة لطلابه، وعوناً لزملائه المعلمين، وكذلك عليه نشر العلم والاجتهاد في طلبه طوال حياته.

شهرة المعلم وعلو مكانته في الفكر الإسلامي:

هذه المنزلة التي أنزلها الإسـلام المعلم جعلته ينال شـهرة في أي قطر من أقطار الإسـلام، حتى بلغت أعداد تلاميذه الآلاف، وهناك روايات متعددة تؤيد ذلك:" قال يحيى ابن أبى طالب: سـمعت يزيد بن هارون في المجلس ببغداد وكان يقال: إن في المجلس سـبعين ألفا"، "وعن أبى على صـالح بن محمد البغدادي يقول: كان محمد بن إسماعيل يجلس ببغداد، وكنت أستملى له، ويجتمع في مجلسه أكثر من عشرين ألفا".

ويورد السمعاني موقفا لأهل الكوفة عند استقبالهم أحد العلماء، يبين فيه حرص الناس على العلم ومنزلة المعلم: "عن عمر بن محمد بن الزيات أنه قال: لما ورد أبو بكر جعفر بن محمد الفربانى إلى بغداد استُقبل بالطيّارات، ووُعد له الناس إلى شارع المنار بباب الكوفة ليسمعوا منه، فاجتمع الناس فحرز *(عدّ أو من التعداد) من حضر مجلسه

لسماع الحديث فقيل نحو ثلاثين ألفا وكان المستملون ثلاثمائة وستة عشر". (المستملي هو الذي يوصّل صوته إلى هذه الأعداد الكبيرة من الطلاب).

ولم تكن الزيادة في أعداد الطلاب – فقط – دليلا على ارتفاع شـأن المعلم بل وجدنا – أيضـا – أن الأسـتاذ الواحد يجتمع له الطلاب من أقطار متعددة، " يحكى عن ابن الأعرابي – وكان لغويا مشـهورا بالكوفة في القرن الثاني من الهجرة – أنه رأى في مجلسه يوما رجلين يتحادثان فقال لأحدهما: من أين أنت؟ فأجاب: من أسبيجاب (وهي مدينة قريبة من الصين في أقصى بلاد الشرق)، وقال للآخر: من أين أنت؟ فأجاب: من الأندلس، فعجب لذلك".

كذلك كان وفاء الطلاب للمعلم دليلا على ارتفاع مكانة الأستاذ العلمية والاجتماعية؛ حيث إنه:" لما توفى إمام الحرمين أغلقت الأسواق يوم موته، وكسر منبره بالجامع، وكان تلاميذه زهاء أربعمائة فكسروا محابرهم وأقلامهم وأقاموا على ذلك عاما كاملا".

وكان حرص الطلاب على الحضـور المبكر للأسـتاذ دليلا آخر على عظم مكانة الأستاذ وارتفاع منزلته؛ حيث" يحرص الطلبة على الوصول إلى مكان أستاذهم مبكرين، فنجد أن عبد الله بن حمود بن مذبح الزبيدي، المتوفى 372هـ / 982م، ينام في مزود دابة أستاذه؛ ليكون أول وارد عليه في الصباح".

وحرص الطلاب على مشاعر الأستاذ واحترامه دليل – أيضا – على أن الأستاذ قد تبوأ أعلى مكان في المجتمع؛ حيث يُحكى أن ابن عباس – رضـي الله عنه – وهو ما عليه من تعلمه من القرابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه كان يذهب إلى من عنده علم السنة، ويظل منتظرا بباب المنزل دون أن يطرق الباب، إلى أن تتيح الفرصة للعالم فيشعر به فيدعوه للدخول".

ولم تكن مشـاعر الاحترام هذه من قبل الطلاب وحدهم، بل كان هذا رد فعل لسـلوك الأسـتاذ مع طلابه، هذا السلوك الذي يشـبه سـلوك الوالد مع أبنائه، فلم يكتف المعلمون بتعليم طلابهم، بل وصـــلت العلاقة العميقة بينه وبينهم إلى أن بعض المعلمين كانوا يقيمون الموائد ويدعون طلابهم إليها، وفى هذا مظهر من مظاهر الود بين الأســـتاذ وتلاميذه، وفيها – أيضا – قوة الرابطة والعلاقة الطيبة التي تربط بينهما.

ويرتبط بالحديث عن مكانة المعلم في الفكر التربوي الإســـلامي، الحديث عن أجر المعلم كدلالة على أن بعضـــهم كان يتولى أمر التعليم لا بقصـــد الهدف المادي، ولكن بقصـــد تأدية رســـالة وأمانة يفرض الواجب عليه أداءها، كذلك فإن تعدد ألقاب المعلمين وتنوعها كانت دلالة أخرى على علو شـــان المعلم، لدرجة ان هذه الألقاب قد تعددت بصـورة كبيرة لم تكن موجودة لصـاحب أية مهنة أخرى. وهو ما سـيتم تناوله من خلال اســتعراض رأي العلماء المســلمين في مســألة أجر المعلمين، وكذلك الألقاب المختلفة للمعلمين في الحضارة الإسلامية.

أولا: أجر المعلم:

أجر المعلم وارتباطه بالمكانة التي وضـــعه الفكر التربوي الإســـلامي فيها، تعد من المســـائل التي كثر فيها الحديث على فترات زمنية متباعدة ما بين مؤيد ومعارض، وسوف يتم عرض وجهتي النظر المؤيدة والمعارضة لمسألة أجر المعلم فيما يلي:

أولا: وجهة النظر الأولى لا تجيز أخذ الأجر على التعليم:

وذلك استنادا إلى سيرة الرسول – صـلى الله عليه وسلم – حيث قام صـلى الله عليه وسلم بتعليم الناس القرآن الكريم دون أن يأخذ على ذلك أجرا، وسار الصـحابة والتابعون وتابعوهم على نهج رسـول الله – صـلى الله عليه وسـلم –، فلم يأخذوا أجرا على التعليم،

وهم في فعلهم هذا يستندون إلى ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لذلك ذهبت طائفة من العلماء والفقهاء إلى أنه لا يجوز أخذ الأجر على تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف.

لذلك حذر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من يتخذون من العلم وسيلة لنيل أغراض الدنيا، يقول:" من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة". وقد أدرك العلماء، المسلمون خطورة هذا الحديث، فوضعوه موضع التطبيق لذلك وجدنا أن: " بعض المعلمين كانوا يعملون حسبة، لا يأخذون على تعليمهم أجرا".

ولم يكن النهى عن أخذ الأجر مقتصرا – فقط – على القرآن والحديث، بل وجدنا الدائرة تتسع لتشمل كل العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه ولغة، فقد كانت وجهة النظر السائدة بين الناس هي أن يكون التعليم مجانا، ويحصل الإنسان على أجره من الله – سبحانه وتعالى – في الآخرة، وسار على هذا النهج عدد كبير من المعلمين المسلمين، سواء الأغنياء، منهم والفقراء.

أما عن أثر عدم جواز أخذ الأجر على التعليم فهو واضح وله دلالته الإيجابية، وله انعكاسه على عناصر العملية التعليمية؛ حيث إن التلميذ يكون أقرب إلى تقبل آراء معلمه إذا لم يطلب المعلم على التعليم مالا، كما إن شخصية المعلم تصبح أكثر قوة وتأثيرا على طلابه إن عف عن أخذ الأجر، ومن هنا تصبح العلاقة بين المعلم والمتعلم علاقة روحية لا تؤثر عليها المادة، الأمر الذي يقوى هذه العلاقة الروحية ويدعمها.

ثانيا: رأى من يجيزون أخذ الأجر على التعلم:

أما وجهة النظر الثانية فهي لا ترى بأســـا بحصـــول المعلم على الآجر نظير قيامه بعملـه في تعليم طلابـه، وأن هذا الأجر لا يتنـافى مع كون التعليم رســـالـة يقوم بهـا صاحبها.

فقد أورد القابس في الرســالة المفصــلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين حديثا لرسول الله – صـلى الله عليه وسلم– يجيز فيه أخذ الأجر على التعليم: " قال ابن عباس، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله ".

ولعل هذا الحديث لا يتناقض مع الحديث الســـابق الذي ينهى عن أخذ الأجر على التعليم؛ إذ ربما المسألة في الأولويات التي يضعها المعلم في ذهنه فيما يتعلق بهدفه من القيام بالتعليم، هل هدفه الأول هو الحصـــول على المال؟، ومن هنا كان الرأي القائل بعدم جواز الحصـــول على الأجر، أم أن هدفه الأول هو تعليم طلابه؟، ونظرته للتعليم رسالة يقوم بها، ثم يأتي المال في المرحلة الثانية، ومن هنا كان جواز أخذ الأجر.

بعد ذلك وجدنا عددا من العلماء يجيزون أخذ الأجر مقابل التعليم، ومن هؤلاء العلماء الإمام مالك الذي أجاز أخذ الأجر:" ذكر الحارث بن مســـكين في تاريخ ســـنة ثلاث وسبعين، أخبرنا ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول: كل من أدركت من أهل العلم لا يرى بأجر المعلمين – معلمي الكتاب – بأسا".

وكان ابن سحنون – أيضا – من الذين أفتوا بجواز أخذ الأجر على التعليم، ولأنه من فقهاء المالكية، فقد نقل ذلك عن أهل المدينة جريا على عادته في اتباعهم، ويذهب ابن سحنون إلى أكثر من ذلك؛ إذ يجيز للمعلم أن يأخذ الهدايا والختمة.

وكان ابن خلدون – أيضا – من العلماء الذين أجازوا للمعلم أن يتقاضى الأجر نظير قيامه بتعليم طلابه؛ حيث يرى: "أن الإلمام بالعلوم والصنائع وكسب المهارة في حذقها وإتقانها إنما هو وسيلة لكسب الرزق، فجعل التعليم مهنة يمكن استغلالها للارتزاق".

ويعد أحمد بن جمعه المفراوي من العلماء الذين أنصفوا المعلمين في هذا الأمر متبعا في ذلك ابن سحنون في الاستدلال برأي الإمام مالك في جواز أخذ الأجر، لذلك وجدناه يفرد فصلا مسهبا عن حكم الشريعة الإسلامية إزاء هذه التعويضات التي تؤدى، معتمدا في كل ذلك على المذهب المالكي الذى يبنى على عمل أهل المدينة من جهة وعلى ما يقتضيه النظر والرأي من جهة أخرى " لقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: خير ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله، وقد روى أن سعد بن أبى وقاص – رضي الله عنه – كان يؤدى أجرة للمعلم على تعليم بنيه، وقد مضى على هذا عمل أهل المدينة، وهو حجة لدى رجال الفقه على مر السنين".

ولم يشأ المفراوى أن يحدد مقدارا معينا لأجر المعلمين، ولكنه يتساءل تاركا هذا الأمر لظروف الزمان والمكان، حيث يتساءل:" هل إنها موكلة للعادة المتعارف عليها بين الناس؟ أم أن الأمر يخضع لأريحية الأولياء والآباء؟ أم أن الأمر يرتبط – أساسا – بالشرط الذي يتفق عليه الطرفان؟ ".

إن هذه القضية الخاصة بأجر المعلمين، هل يتقاضى المعلم الأجر أم لا؟ ليس معناها امتناع معلمي اليوم عن أخذ الأجر، إن الفكر التربوي الإسلامي فكر مرن يتفق مع طبيعة الزمان والمكان، والحصول على الأجر لا يمنع الحصول على الثواب مقابل قيام المعلم بأداء واجبه.

إن المعلم الذي أصـــبح – اليوم – يمارس عملا يتكســـب منه ويأخذ عليه أجرا، لا يتنافى هذا الأمر مع كون هذا المعلم له رســـالة في الحياة يســـعى لأدائها، وهو يثاب عليها؛ لأنه أداها بإخلاص وأمانة؛ لأن خير ما يؤجر عليه الإنســـان هو أداؤه واجبه، وهذا الأجر في الدنيا لا يمنع ثواب الآخرة إن كان العمل بنية صـــادقة؛ حيث لا تناقض بين أن يحصل المعلم على الأجر، وأن تكون له مُثل ومبادئ يسعى لنشرها، ومسؤوليته أمام الله يستشعر أداءها على الدوام.

وتجدر الإشـــارة إلى أن أجور المعلمين كانت متفاوتة؛ فأجر المؤدب – على ســـبيل المثال – كان أكبر من أجر معلم الكتاب، فقد:" نعم المؤدبون بالغنى والرخاء اللذين استمتعت بهما طائفة العظماء الذين اتصل بهم المؤدبون، وتعيين شخص ما مؤدبا كان يعد فاتحة خير عليه وعلى ذويه؛ إذ كانت هذه الوظيفة تضـــمن لشـــاغلها غنى سريعا شاملا".

وبرغم حصول المؤدبين على الأجر، إلا إنهم احتفظوا بمنزلة عالية دونها منزلة عديد من أصـــحاب المهن الأخرى؛ حيث لم يكن عيبا للمؤدبين أن يجمعوا بين قيامهم بمهمة التعليم وأخذ الأجر على تأديبهم؛ فهم ليسوا من الزاهدين أو الواعظين الذين يرفضون أخذ الأجر، وفي المقابل من ذلك نجد بعض العلماء يكرهون أخذ الأجر على واجب ديني يقومون به؛ تمشيا مع سيرة السلف، أما المؤدبون فقد كانوا مدفوعين بدوافع مادية دنيوية، ومع ذلك لم يقلل هذا من شأنهم ومنزلتهم في المجتمع.

أما معلمو الكتاب، فقد كان المســـتوى المادي الاجتماعي لهذه الطائفة من المعلمين متدهوراً بالقياس بمســـتوى المؤدبين، وكانت مهمتهم تعليم القرآن الكريم ومبادئ الدين، وكان معلمو الكتاب يتبعون سنــة الأوليـــن في عدم الحصول على الأجر مقابل التعليم فقد كانوا زاهدين ليست لهم أطماع مالية، أو على الأقل كانوا يرضون بالقليل من المال.

ويقسم أحمد شلبي أجر المعلم إلى قسمين:

القسم الأول: كان يقوم به جميع الأطفال – تقريبا – وهو عبارة عن مبلغ قليل من المال يدفع أسبوعيا أو شهريا ورغيف من الخبز يدفع كل أسبوع.

أما القســم الثاني: فكان يدفعه الطفل الذي يصــل في حفظه إلى تمام ســورة معينة من القرآن، ويدخل في القسم الثاني ما يدفعه الطفل عندما يختم القرآن الكريم، وفى هذه المرة يظهر الجود والســخاء، ويكرم معلم الكتاب أجمل تكريم، وقد يشــمل العطاء شــيئا من الأكسية والمال وغيرها على حسب حال أهل الطفل.

إن مسألة أجر المعلمين تعد خير دليل على عظم وعلو مكانة المعلمين في الإسلام؛ لأن ما يقومون به من واجبات في المجتمع هو رســالة لا وظيفة، ومن هنا كره بعضــهم أخذ الأجر على تعليم أبناء المسلمين؛ طلبا للثواب من الله – تعالى – وذلك استنادا إلى تعاليم الرسول– صلى الله عليه وسلم – وأقوال الصحابة. إلا إن ذلك ربما يجوز على بعض المعلمين من أصــحاب الأموال والتجارة مثل أبي حنيفة، ولكن البعض الآخر كان يتخذ من التعليم عملا له دون أن يكون له دخل آخر، ومن هنا أوجب البعض ضـــرورة إعطاء المعلمين الأجر، وهذا لا يمنع حصــول الثواب؛ طالما أن المعلم يقوم بأداء واجبه على أكمل وجه.

ثانيا: ألقاب المعلمين:

وهي دلالة ثانية على ارتفاع منزلة المعلم، فقد بلغت درجة كبيرة من التنوع التي لم تكن لصـــاحب أية مهنة أخرى، والتي تحتاج إلى إفراد بحث لها عن نشـــأة هذا اللقب ودلالته، وأشـــهر المعلمين في مجاله، ومن أهم الألقاب التي كانت تطلق على المعلمين في الحضارة الإسلامية، ما يلي:

1. المؤدب:

وهو لقب له دلالته الخاصـة، ومن أكثر الألقاب شـيوعا في الفكر التربوي الإسـلامي، وهو:" نســـبة إلى التأديب التي ترادف – إلى حد كبير – عملية التربية، وكان الجاحظ يقصد بالمؤدبين فئة من المعلمين الخصوصيين الذين كانوا يختصون بتعليم أولاد العامة في الكتاتيب".

وهذا اللفظ أو اللقب مشـــتق من التأديب، وهو يشـــير إلى عملية التهذيب الأخلاقي للمتعلمين، ومن هنا تأتى دلالة، ما وضـــعه التربويون المســـلمون من مؤلفات مصـــدرة بكلمة (آداب)، وهو ما رأيناه عند ابن سـحنون والقابس وبدر الدين بن جماعة، وفي ذلك دلالة على أن المعنى الخلقي للتربية هو الأســـاس في العملية التربوية وأســـاس عمل المعلمين.

أما عن بداية ظهور المؤدبين فقد: " ظهر المؤدب في دول الحضارات القديمة كالبلاد الإغريقية والفارسية، ونحن نعلم أن أرسطو كان المؤدب الخصوصي للإسكندر الأكبر المقدوني، وفى المجتمع الإسلامي ظهر المؤدب منذ عصر مبكر في أيام الخلافة الأموية التي أخذت في الشام بكثير من التقاليد الأجنبية وبالذات نظم الحكم والإدارة".

وفى مقابل ما ذكر الجاحظ من أن المؤدبين هم فئة من المعلمين الخصوصيين الذين كانوا يقومون على تعليم أبناء العامة، وجدنا من يشـــير إلى أن المؤدب كان يقترن الحديث عنه بالحديث عن تعليم أبناء الخاصة، من أمراء وغيرهم من أبناء الخلفاء.

فقد كان الخلفاء – وهم على درجة عالية من العلم والثقافة – يتخذون المؤدبين لتأديب أبنائهم وتهذيبهم، وإعدادهم إعدادا يتناسـب وأوضـاعهم ومراكزهم التي سـوف يقلدونها، وكان الأمويون أول من اتخذ المؤدبين لأبنائهم، حتى أصبحت سنة تبعهم فيها العباسيون الذين اتخذوا لأبنائهم المؤدبين، حيث يروى أن الخليفة أبا جعفر المنصـور ثاني الخلفاء العباسيين عين المفضل الضبى مؤدبا لولى عهده الصبي.

وهناك أسماء كثيرة لمؤدبين اشتهروا في المجتمع الإسلامي بارتفاع المنزلة؛ بسبب قيامهم بتعليم أبناء الأمراء، ومنهم كثير من علماء اللغة والأدب والنحو مثل: عبد الصمد ابن عبد الأعلى معلم ولد عتبة بن أبى سـفيان، والضـحاك بن مزاحم، وعامر الشـعبي معلما أولاد عبد الملك بن مروان، وابن المقفع، معلم بعض بنى اسـماعيل بن على، وعلى بن حمزة الكسائي معلم أولاد هارون الرشيد"، وقد ذكر أحمد شلبي قائمة بأسماء عدد كبير من المؤدبين الذين خلدهم التاريخ.

أما عن دور المؤدب: فقد تعدد هذا الدور؛ حيث لم يقتصر على التعليم، بل امتد إلى التوجيه والإرشاد، والمؤدب عندما كان يقوم بهذا الدور كان يخشى في الوقت نفسه أن يفقد وظيفته، أو أن تصل عنه أخبار غير حقيقية إلى الخليفة، كما إن المتعلم كان يكن كل حب وتقدير لمؤدبة، حتى لو ضـربه، وربما يعزى ذلك إلى أن المتعلم يقدر مكانة المؤدب العلمية والاجتماعية، ولأنه يعرف أنه أخطأ، ومن ثم يستحق العقاب.

2. العالم:

وهو من الألقاب التي شاع استخدامها في الفكر التربوي الإسلامي، ذكر القلقشندي أنه:" من ألقاب السلطان، وهو خلاف الجاهل، ومن ثم إنما هو في الحقيقة من ألقاب العلماء إلا إنهم نعتوا به الملوك تعظيما؛ إذ العلم كل أحد يزاحم على الاتصاف به"، ولفظة أو لقب العلاّمة، يندرج تحت هذا اللقب، وهو: "من ألقاب كبار العلماء، قال الجوهري: وهو العالم للغاية".

ولا فرق في الفكر التربوي الإسلامي بين العالم والمعلم؛ إذ هو عالم على المستوى النظري، معلم على المستوى التطبيقي:" إن المعلم في معناه الحقيقي في الفكر الإسلامي هو عالم بالضرورة، على الأقل فيما يقدم على تعليمه، ولا يمكن أن يتصور أن يكون هناك معلم دون أساس علمي يسنده في تعليمه".

كذلك ينظر الفكر الإسلامي إلى العالم على أنه معلم، حيث يرفض الفكر التربوي الإسلامي أن يصل الإنسان إلى مستوى من العلم، أو إلى الحد الذي يطلق عليه فيه اسم العالم، ثم يحتفظ لنفسه بهذا العلم، ولا يفيد غيره به. ومن هنا كان التحذير الشديد من الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن كتمان العلم، وعدم تقديمه للآخرين.

3. المدرس:

وهو من الألقاب التي يشيع استخدامها للمعلم، بل هو الغالب في التعبير عن عمل المعلم حاليا، أما في الفكر التربوي الإسلامي فهو: " الذي يتصدى لتدريس العلوم الشرعية: من التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والتصريف ونحو ذلك، وهو مأخوذ من درست الكتاب دراسة إذا كررته للحفظ"، فهو الذي يكرر المادة العلمية على مسامع طلابه؛ حتى يفهموها، وهو المصطلح الذي يشاع إطلاقه على المعلمين حاليا.

4. المعيد:

وهو من مفاخر الفكر التربوي الإسـلامي التي سـبق بها الفكر التربوي الحديث بمئات السـنين، ولعله يرادف لقب العريف الذي كان شـائعا في الكتاتيب، " وهو ثاني رتبة بعد المدرس، وأصـل موضـوعه أنه إذا ألقى المدرس الدرس وانصـرف أعاد للطلبة ما ألقاه المدرس إليه ليفهموه ويحسنوه".

ويرى أحمد شـــلبي أن وظيفة المعيد ظهرت في القرن الخامس الهجري، ودليله على ذلك ارتباط وظيفة المعيد بنشأة المدارس؛ حيث بدأ ظهورها في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، أما عن السـبب الرئيس في ارتباط ظهور وظيفة المعيد بالمدارس، فيرجع إلى أن هذه المدارس عند نشأتها جمعت طلابا متفاوتين في قدراتهم العلمية، لذلك كان المعلم في حاجة للمعيد؛ حتى يسـاعد الطالب الأقل في القدرة العقلية؛ كي يتمكن من ملاحقة المتفوقين من زملائه، ولم يظهر المعيد في المسـاجد؛ لأن الطالب إذا أحس بعدم قدرته على ملاحقة زملائه علميا ترك الحلقة إلى غيرها من الحلقات التي تناسـب مستواه العقلي والعلمي.

أما عن طريقة اختياره، فكانت تتم الطريقة نفسـها التي يختار بها الآن بالجامعات، حيث كان يتم اختيار المعيدين من بين أحسـن الخريجين؛ حتى يتمكن من أداء مهمته، وهو أسـلوب التكليف نفسـه المتبع في الجامعات حاليا، بعد ذلك انتقل هذا النظام إلى الجامعات الغربية، ثم قمنا باسـتيراده لمرحلة التعليم الجامعي، وقد كان نظام المعيدين هذا هو الأساس الذي قام عليه إعداد المعلمين في الحضارات الحديثة.

5. العريف:

وإذا كان المعيد قد ارتبط بالمدارس فإن العريف ارتبط بالكتاتيب، ويعرفه ابن سحنون بأنه: " الصبي الذي قد ختم وعرف القرآن". معنى ذلك أن وظيفة العريف قد ارتبطت بمساعدة معلم الكتاب في تحفيظ القرآن الكريم لطلابه.

وقد جعل ابن سحنون تعيين العريف من حق المعلم، ولكنه لم يترك المسألة تخضع للأهواء الشخصية للمعلمين، بل اشترط في هذا العريف شروطا، منها: حفظ القرآن الكريم، ومعرفة بعض من أدب المعلم. ويحدد المفراوى صفات العريف الذي يعين بقوله:" ومتى جعل عليهم عريفا، جعله ممن يؤنس رشده وعفافه ويمنعه من ضربهم، والحيف عليهم".

أما عن طريقة تعيينه، فقد كان يتم اختياره من الأطفال الذين أنهوا تعليمهم بالكتاب أو الذين قاربوا على الانتهاء وكان من الممكن أن يعين أكثر من صبي لشغل هذه الوظيفة، ويحدد عدد العرفاء بعدد الطلاب الكبار الموجودين بالمكتب، ولم يكن عمل العريف هذا وظيفة بقدر ما كان مساعدة من طالب كبير للصبى الصغير.

ولكن ربما خرج الأمر عن كون العريف مساعدا في تعليم الصبي فقط، إلى النظر إليه كصاحب وظيفة؛ حيث كان بعضهم يتقاضى الأجر من الأوقاف التي كان يوقفها الأغنياء للصرف منها على طلاب العلم، ولكن أجر العريف كان يقل عن أجر المعلمين؛ لأن عمله كان يبدأ عندما ما ينتهي عمل المعلم، لمعاونة الطلاب المتخلفين أو الأقل ذكاء ومساعدتهم على النمو في التحصيل الدراسي، كما كان العريف ينوب عن المعلم في غيبته في الإشراف على الكتاب، وحفظ النظام، وتعليم الأطفال.

6. الشيخ:

وهو لقب لـه مدلولـه في ذاتـه، ولـه مهابتـه، وكـان يـدل على طـائفة من المعلمين، أما الآن فهو يدل على فئة خاصـــة من الأئمة والوعاظ، وهو عند القلقشـــندي:" من ألقاب العلماء والصـلحاء، وأصـله في اللغة الطاعن في السـن، ولُقّب به أهل العلم والصـلاح؛ توقيرا لهم كما يوقر الشيخ الكبير، والشيخي نسبة إليه للمبالغة".

وربما ارتبط هذا اللقب بالمدة الطويلة التي قضـــاها المعلم في تحصـــيل العلم حتى اسـتحق أن يطلق عليه هذا اللقب، حيث يقصـد به: "العلماء الذين شـاخوا في تحصـيل المعرفة، وعملوا طويلا في اكتســابها وتنميتها، فشــيخ المادة هو أســتاذها". ويوازن أحد الباحثين بين لقب الشيخ، والألقاب الحديثة فيقول: "ربما يشير لقب" شيخ " أحيانا إلى ما يوازى لقب "رئيس القسم " في جامعاتنا اليوم ".

7. الرُّحلة:

وتتصـل الرحلة اتصـالا وثيقا بعملية التكوين العلمي للأفراد في العصـور الإسـلامية، وقد رأينا كيف أن طلابا من جنسيات مختلفة كانوا يجتمعون لدى المعلم الواحد، والرحلة: "من ألقاب أكابر العلماء والمحدثين، والرُّحلة في اللغة ما يُرحل إليه، ولقب بذلك لأنه في حيز أن يرحل إليه للأخذ عنه. أما الرِحلة بالكسـر بالارتحال، والرُّحلى بالضـم نسـبة إليه للمبالغة".

فقد كان هناك عديد من العلماء على درجة عالية من العلم والشـــهرة، الأمر الذى جعلهم مقصـــدا لطلاب العلم، يرحلون إليهم من كل بقاع العالم الإســـلامي، يتلقون العلم على أيديهم دون مبالاة لعناء ومشقة السفر.

8. المفيد:

وهو لقب له دلالته في العملية التعليمية؛ إذ الهدف النهائي منها هو إفادة الطالب المتعلم، وهو عند القلقشـندي:" من ألقاب العلماء، وهو اسـم فاعل من الإفادة وهو إنالة الشخص مالم يكن حاصلا عنده، والمفيدى نسبة إليه للمبالغة "، معنى ذلك أنه يجب أن يزيد من معلومات الطلاب، وأن ما يعرفه يجب أن يزيد على ما يعرفونه:" وإلا ضـــاع لفظ الإفادة وخصوصيتها وكان أخذه العوض في مقابلتها حراما".

9. المحدّث:

وينصـرف الذهن مباشـرة إلى علم الحديث عند سـماع هذا اللقب الذي عرف به عديد من العلماء، وأشـهرهم أصـحاب كتب الحديث وهو عند القلقشـندي: " من يتعاطى علم حديث النبي صـلى الله عليه وسـلم بطريق الرواية والدراية، والعلم بأسـماء الرجال وطرق الأحاديث والمعرفة بالأسانيد ونحو ذلك".

ويرتبط بلقب المحدث لقب آخر شاع استخدامه في العصور الإسلامية، وكان يسبق بأسماء عديد من العلماء، وهو لقب الحافظ، فكان يقال– على سبيل المثال– الحافظ ابن كثير، الحافظ ابن حجر... وهو: " من ألقاب المحدثين، وأصله من الحفظ ضد النسيان، واختص بالمحدثين لاحتياجهم إلى كثرة الحفظ لمتون الأحاديث وأســـماء الرجال ونحو ذلك، والحافظي نسبة إليه للمبالغة".

10. الفقيه:

وهذا اللقب كان شائع الاستخدام في العصور الإسلامية الأولى، ولعله أكثر التصاقا بالفقهاء أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة، وغيرها من المذاهب الأخرى غير المشهورة، وهو: " من ألقاب العلماء وهو اسم فاعل من فُقه بضم الفاء؛ إذا صار الفقه له سجية، ككُرم إذا صار الكرم له سجية".

والفقيه هو الذي يستنبط الأحكام الشرعية من النصوص المختلفة، فهو مرتبط أشد الارتباط بالعلم الديني، فقد كان اهتمام المسلمين الأول بالعلم الديني، ولم يكن مطلوبا من صاحب العلم كتمانه، وإنما كان مطلوبا منه أن يفقه غيره من المسلمين، لذلك أطلق على القائم على أمر التعليم لقب الفقيه، وظهر هذا اللقب بعد أن حل الفقهاء محل القراء الذين كانوا يتولون القيام بمهمة إقراء المسلمين القرآن الكريم.

11. المقرئ:

ولهذا اللقب دلالته المباشرة في التعبير عن مهمة معلم القرآن الكريم، فقد كان تعليم القرآن الكريم هو الهدف الأول للمسلمين الأول والمقرئ:" هو الذي يُقْرئ القرآن العظيم، وقد غلب اختصاصه في العرف على مشايخ القراء من قراء السبعة المجيدين المتصديين لتعليم علم القراءة".

وقد أشار ابن بطوطة في رحلاته إلى وظيفة معلم القرآن وكيفية تعليمه، وذلك عند وصفه لمسجد دمشق يقول واصفا المسجد: " وبه جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم إلى سارية من سواري المسجد، يلقن الصبيان ويقرئهم، وهم لا يكتبون القرآن في الألواح؛ تنزيها لكتاب الله تعالى، وإنما يقرءون القرآن تلقينا".

وهناك عدد آخر من الألقاب التي شاع استخدامها في الفكر الإسلامي، وهي ألقاب ذات دلالات علمية ودلالات خلقية منها:

12. المربى:

من ألقاب الصوفية، والمراد من يربى المريدين ويسلكهم، ويعرفهم الطريق إلى الله تعالى، ولعل هذا اللقب أقرب إلى الدلالة على المسؤولية الأخلاقية للمعلمين مثل لقب المؤدب. ويمكن إطلاقه على معلمي اليوم؛ إذ الهدف النهائي من العملية التربوية، هو تربية المتعلمين: روحا، وعقلا، وخلقا، وجسما...

13. المدقق:

من ألقاب العلماء وهو الذي ينُعمُ النظر في المسائل ويدققه، والمدققي نسبة إليه للمبالغة، وهو تعبير عن الأمانة العلمية للمعلم.

14. المحقق:

من ألقاب العلماء، والمراد أنه يأتي بالأشياء على حقائقها؛ لحدة ذهنه وصحة حدسه، والمحققي نسبة إليه للمبالغة، ويرتبط هذا اللقب بالدقة والتمكن من المادة العلمية والأمانة في عرضها.

15. القُدوة:

بكسر القاف وضمها لغة من ألقاب العلماء والصلحاء، وهو بمعنى الأُسوة. يقال: فلان قدوة يُقتدى به، والقُدوى نسبة إليه للمبالغة.

16. المجتهد:

من ألقاب العلماء، والمراد به في الأصـل من يسـتنبط الأحكام الشـرعية من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، والمجتهدي نسبة إليه للمبالغة.

17. الخطيب:

وهو الذي يخطب الناس، ويذكرهم في الجمع والأعياد ونحوهما، وقد كان ذلك في الزمن المتقدم مختصا بالخلفاء والأمراء.

18. معلم الخط:

وكانت له مهمته – والتي يحدثنا عنها ابن بطوطة في معرض وصفه لمسجد دمشق– :" ومعلم الخط غير معلم القرآن، يعلمهم بكتب الأشعار وسواها، فينصرف الصبي من التعليم إلى التكتيب، وبذلك جاد خطه؛ لأن المعلم للخط لا يعلم غيره." ولا شك أننا أحوج ما نكون إلى هذا المفهوم عن معلم متخصص في الخط في نظامنا التعليمي الحالي.

19. الإمام:

وهذا اللقب له دلالته وهيبته، وله مدلوله الديني عند بعض الفرق الإسـلامية، ولكن شاع إطلاقه على كبار العلماء الذين وصلوا إلى درجة عالية من العلم والتفقه في الدين، كما في قولهم الإمام الغزالي، الإمام ابن حنبل، الإمام محمد عبده... وهكذا، ومن هنا فقد اختص بهذا اللقب عيون أهل العلم الذين كان يقومون بمهمة التعليم.

20. معلم الكتاب:

وهو من أكثر الألقاب شـــيوعا، والذي ثار حوله جدل كبير حتى حاول البعض أن ينقص من قدره، وحتى اتخذ منه أداة للســـخرية والتهكم، وكان الجاحظ من أكثر الكتاب الذين تعرضـوا لمعلم الكتاب بالسـخرية والتهكم حتى إنه أورد بعض النصـوص التي تقلل من شأن معلم الكتاب.

يقول: " ومن أمثال العامة: أحمق من معلم كتاب " وفى قول بعض الحكماء:" لا تستشيروا معلما ولأراعي غنم ولا كثير القعود مع النساء "، " وقد سمعنا قول بعضهم: الحمق في الحاكة والمعلمين والغزالين". واضح من هذه الأمثلة التي ساقها الجاحظ مدى تهكمه من معلمي الكتاب إلى درجة تلغى مكانته داخل المجتمع، برغم خطورة الدور الذي يقوم به.

والأمر الذي جعل الجاحظ يكثر التندر على معلمي الكتاب، هو أسلوبه الساخر الذي عرف به، وامتاز به دون غيره من الكتاب، ولم يستخدم هذا الأسلوب – فقط – للسخرية من معلم الكتاب، ولكنه سخر من الناس جميعا على اختلاف منازلهم؛ حيث سخر من القّصاص والمفسرين والمحدثين، وسخر من القضاة والحكام، وطائفة من المتكلمين، ولم يكن يســـلم من ســـخريته إلا المعتزلة، فقد كانوا عنده أعقل الناس، وأهداهم إلى المعرفة والتبين والإصابة في الحكم.

إن معلم الكتاب يكتسب منزلته وشرفه من عظم المهمة التي كان يقوم بها، وهي تعليم القرآن الكريم، لذا فإن منزلته كمنزلة غيره من المعلمين في الفكر الإسلامي؛ فهم جميعا ينطلقون من مبدأ واحد، ويسعون إلى تحقيق هدف واحد وهو نشر الرسالة الإسلامية،

إذن:" ليس غريبا أن يكون الجاحظ قد تأثر بالروايات اليونانية؛ إذ كانت الثقافة اليونانية تمثل جانبا من ثقافته، وكان المعلم في الروايات اليونانية من الشخصيات المضحكة.

وإذا جاز القول: إن هناك فئة من معلمي الكتاب قد ظهرت منهم بعض الحماقات أو التصـــرفات التي لا تليق بمكانة المعلم، فإنه لا يجوز لنا أن نعمم هذا الحكم على كل معلمي الكتاتيب؛ حيث ظهر بعض العلماء البارزين في المجالات الســياســية والدينية واللغوية.

لقد كان بعض معلمي الكتاتيب على درجة عالية من العلم والثقافة، حيث:" كانت تصـــل به ثقافته وعلومه إلى درجة تجعله يعطى كل وقته لإرشـــاد زملائه المعلمين وتوجيههم أو تثقيفهم في القراءات وغيرها، كما إن المعلمين من ناحيتهم كانوا يســـعون إلى تحسين مستواهم الثقافي دون خجل، ويجلسون إلى واحد منهم يدرسون على يديه".

ومن هنا وجدنا الجاحظ – في الرسـائل – يسـتخدم منطقا مغايرا عما ذكر في البيان والتبين، يرفع فيه من شـــأن معلم الكتاب، حيث يذكر بعد الحديث عن الكتاب والقلم وأهميتهما: "وليس علينا لأحد في ذلك من المنّة – بعد الله الذي اخترع ذلك لنا ودلنا عليه، وأخذ بنواصـينا إليه – ما للمعلمين الذين سـخرهم لنا، ووصـل حاجتهم إلى ما في أيدينا، وهؤلاء هم الذين هجوتهم وشـكوتهم وحاججتهم وفحشـت عليهم، ولو نظرت من جهة النظر علمت أن النعمة فيهم عظيمة سابغة والشكر عليها لازم واجب".

بل وجدنا في البيان والتبين – الذي سخر الجاحظ فيه من المعلمين – وجدناه ينصف هؤلاء المعلمين:" فكيف تسـتطيع أن تزعم أن مثل على بن حمزة الكسـائي، ومحمد بن المسـتنير الذي يقال له قطرب، وأشـباه هؤلاء يقال لهم حمقى، ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ولا على الطبقـة التي دونهم، وكيف تقول مثـل ذلـك في هؤلاء وفيهم الفقهـاء

والشـعراء والخطباء، مثل الكميت بن زيد، وعبد الحميد الكاتب، وقيس بن سـعد، وعطار بن أبى رباح، ومثل عبد الكريم بن أمية، وحسين المعلم، وأبى سعيد المعلم".

ولا يوجد تفسـير يمكن إعطاؤه عن هذا الاسـتفهام الاسـتنكاري الذي يبدأ به الجاحظ كلامه، أهو اسـتنكار له أم لغيره؟، وهل هو اسـتدراك لخطأ وقع فيه عن عمد أو غير عمد؟! فربما يكون قد أخطأ في نقل الروايات اليونانية عن المعلم.

وما نميل إليه أن معلم الكتاب نال منزلة كبيرة في الفكر الإسـلامي، وإن ظهرت بعض التجاوزات فهي لا تمثل ظاهرة تسـتدعى كل هذا التهكم، فهو ينال مكانته من شرف الرسالة التي يضطلع بها.

الفصل الثاني

إعداد المعلم في الفكر التربوي الإسلامي

تمهيد:

إذا كانت هذه مكانة المعلم في الفكر التربوي الإسـلامي، وإذا كانت هذه هي شـهرته العلمية التي جعلته قبلة لطلاب العلم من أقطار متعددة، فهل كان هناك إعداد للمعلم كإعداد اليوم؟ لقد عرفت الحضارات المختلفة، كالمصرية واليونانية – على سبيل المثال – عرفت هذه الحضـارات التدريس كمهنة منذ عصـور بعيدة، وكان التدريس من أعظم المهن وأشرفها، ولا يستطيع أن يزاولها إلا الصفوة المختارة.

والعلماء المسـلمون يرون أن مهنة التعليم – كغيرها من المهن – تحتاج إلى مهارة خاصـة عند مزاولتها، بدلا من تركها لمن لا تؤهله قدراته ومواهبه لمزاولة هذه المهنة الشاقة؛ إذ يرى العلماء أن التعليم صناعة كغيره من الصناعات.

وتمتاز التجربة التربوية الإسـلامية في إعداد المعلم بأنها مسـتمدة من القرآن الكريم والسـنة والتي حددت أسـس التربية وأهدافها وميادينها، ومناهجها، وأسـاليبها، ووسـائلها، بحيث تتدرج في إعداد الإنسـان المسـلم إعدادا فكريا، ونفسـيا، ووظيفيا، مراعية في ذلك اسـتعداداته وقدراته، وحاجات المجتمع الذي يعيش منه، وهي أصـول مرنة تتفتح على تجارب الآخرين، وتراعي ظروف التطور في الزمان والمكان.

وسوف يتم في هذا الفصل تناول: مهنة التدريس وسماتها، أبعاد إعداد المعلم في الفكر المعاصر، إعداد المعلم في الفكر التربوي الإسلامي، وضرورة تلقى العلم على يد المعلم، والتدقيق في اختياره، الرحلة في طلب العلم والإجازات العلمية كوسـيلتين لإعداد المعلم في الفكر التربوي الإسلامي.

مهنة التدريس وسماتها:

مهنة التدريس لها خصـــوصـــياتها، وهي – كغيرها من المهن الأخرى – تتطلب من الذين يمارسونها إعداداً خاصا، فهي ليست مثل أية حرفة يدوية، وليست مجرد أداء آلي يمكن أن يقوم أى فرد بأدائها إذا ما توفرت عنده قدرات معينة، أو كان لديه قدر ما من العلم، ولكن التدريس مهنة لها أصولها، وعلم له مقوماته، وفن له مواهبه، بالإضافة إلى ذلك فهي عملية تربوية مؤسسة على قواعد ونظريات، وبصفة عامة فإن التدريس هو عملية بناء الأجيال القادمة وتكوينها.

والمهنة هي: " أسلوب عملي تطبيقي لأسس علمية ونظرية غاية في التقدم والتعقيد. ومن ثم فلا يستطيع القيام بها إلا كل شخص حصل على قسط كبير من العلم، ومن الثقافة والتدريب. أيضـا لا تقوم المهنة على العمل اليدوي البسيط أو الفردي الساذج، وإنما تقوم على أسس علمية وتطبيقية غاية في التعقيد والتركيب والتخصص".

إذن لا يستطيع أن يضطلع بأعباء مهنة التدريس إلا كل من نال إعدادا خاصا يمكنه من مزاولتها، فهي: " تحتاج – بالفعل – إلى توفر قدرات معينة عند المعلم، وفى الوقت نفسه نلاحظ أن هذه القدرات المهنية ليست نظرية، وإنما هي مكتسبة يتعلمها الإنسان الذي يريد العمل في هذا الحقل، وعليه أن يتدرب على ممارستها – عمليا – تحت إشراف أساتذة متخصصين".

وتحدد شروط المهنة وسماتها في أربع سمات:

1. إعداد أفرادها بحيث يتمتعون بكفاية خاصة تميزهم عن غيرهم.
2. تميز أفرادها بالمعرفة النظرية التي تقف خلف أدائهم المهني.
3. حصول أفرادها على ما يثبت أهليتهم لمزاولة المهنة.

4. خضوع أفرادها لدستور أخلاقي ينظم أدائهم للمهنة.

وفي تصنيف آخر لسمات المهنة، تم تحديدها في ست سمات، هي:

1. ثقافة عامة ومتخصصة ومهنية.

2. إعداد مهني يؤمن نموا مستمرا في أثناء الخدمة.

3. احتراف مهني منظم، تصبح فيه المهنة حياة دائمة للعمل والنمو.

4. خدمة حيوية من الناحية الاجتماعية، تترفع عن الاستغلال والكسب الشخصي.

5. أخلاق مهنية، تتضح فيها الحقوق والواجبات، والأنماط السلوكية التي يلتزم بها الجميع.

6. تنظيم مهني يتمتع باستقلالية ذاتية، يعمل على رفع مستويات المهنة وتحسين أحوال.

وفى تحديد (روبرت رتش) لخصائص المهنة، نراه قد وضع ثماني خصائص لمهنة التدريس تتشابه مع السمات السابق ذكرها، ومن بين ما ذكر – ويتفق فيه مع غيره من الذين وضعوا سمات للمهنة – أن المنتمين للمهنة ينبغي عليهم التمسك بميثاق آداب المهنة في سلوكهم وممارساتهم.

أبعاد إعداد المعلم في الفكر المعاصر:

تتعدد جوانب إعداد المعلمين، وتتفق هذه الجوانب مع بعض سمات مهنة التدريس؛ بمعنى أن كل جانب من هذه الجوانب يراعى سمة معينة من سمات المهنة، ومن أهم تلك الأبعاد ما يلي:

1. البعد التخصصي (الأكاديمي):

ويتعلق بالمادة العلمية التي سـيقوم المعلم بتدريسـها بعد التخرج، سـواء أكانت هذه المادة أدبية أم علمية، وهذا البعد يزود المعلم بقدر من التخصـص والمعرفة بالمادة التي سـوف يدرسـها، ثم عليه أن يطوع هذه المعرفة والدراسـة لخدمة أهداف تعليم المادة في مرحلة دراسية بعينها.

2. البعد المهني:

وتشمل برامج الإعداد المهني والتربوي على: دراسة نظريات التربية وأصولها الفلسفية والثقافية والاجتماعية، والتربية المقارنة، وتاريخ التربية، ونظريات التعلم والنمو وقوانينها، وأساسيات المناهج، وإستراتيجيات التدريس، وتكنولوجيا التعليم.

3. البعد الثقافي:

وهذا البعد يشـير إلى الدور الريادي الذي ينبغي أن يكون عليه المعلم؛ حيث ينظر إليه التلميذ والمجتمع على أنه يعلم كل شـيء، وهذا البعد، يعد شرطا ضـروريا لممارسـة مهنة التدريس، بخلاف مهنة الطب والهندسة لا يحتاج ممارستها للبعد الثقافي، في حين أن هذا البعد ضـروري ومهم للمعلم؛ حيث تزداد ثقة التلاميذ فيه وتأثيره فيهم كلما زادت ثقافته أو معلوماته العامة.

إذا قمنا بالموازنة بين سـمات مهنة التدريس، والأبعاد الخاصـة التي يتم إعداد المعلم على أسـاسـها، وجدنا أن هذه الأبعاد تراعى بعض سـمات مهنة التدريس؛ فهي تراعى السـمة الخاصـة بالتمكن من المادة العلمية، وتراعى الجانب المهني، وتراعى الجانب الثقافي، وهو ما يميز مهنة التعليم عن غيرها من المهن، ولكن السمة الأساسية والمهمة

للمهنة، وهي أن للمهنة دســـتورها الأخلاقي، أو أن للمهنة ميثاق آداب يتمســـك به المعلمون في أخلاقهم وسلوكهم، هذه السمة الخاصة بمهنة التدريس لا تراعى عند إعداد المعلمين بكليات التربية.

والعلم – في الإسلام – لا ينظر إليه على أنه مجرد حشو الرؤوس بالمعارف والعلوم، حتى وإن بلغت هذه العلوم درجة عالية من جلال القدر في موضـــوعاتها، أو في طريقة ثبوتها، وليس هذا خاصـــا بالعلم الدنيوي فحســـب، بل والعلم المقتبس من طريق النبوة – وهو العلم الأعلى – لا يكفي فيه تحصـــيله واكتســـابه، ولكن لابد لصـــاحبه من الالتزام بالقيم الخلقية التي يفرضها العلم على المشتغلين به، حتى يكونوا أهلا لخلافة الأنبياء.

ومن منطلق تكامل التربية الإسلامية وشمولها، فإن دور المعلم لا يقتصر على تنمية النواحي العقلية للمتعلمين، وإنما يجب أن يتعدى دوره إلى الاهتمام بالمتعلم من جميع جوانبه العقلية والاجتماعية والنفسية والخلقية، ولا يستطيع المعلم أن يؤدى هذا الدور إلا إذا كان معدا إعدادا جيدا، لا من الناحية الأكاديمية والمهنية والثقافية فحســـب، وإنما من النواحي الخلقية أيضا.

لذلك كان اهتمام الفكر التربوي الإســـلامي بإعداد المعلم، مع التركيز على الجانب الخلقي للمعلمين، والذي لا يقل أهمية عن جوانب الإعداد الثلاثة المطلوبة في المعلمين، وهو ما سيتم تناوله في هذا الفصـل من خلال ما أكد عليه الفكر التربوي الإسـلامي من ضـــرورة تلقى العلم على يد المعلم، التدقيق في اختياره، ونظام إعداد المعلم في الفكر التربوي الإسلامي، والذي كلن يتم عن طريق: الرحلة في طلب العلم والإجازات العلمية.

إعداد المعلم في الفكر التربوي الإسلامي:

إن: " إعداد المعلم في الحضـــارة المعاصـــرة يركز على الجانب المهني في المعلم، ومتطلبات هذا الجانب من الإعداد الأكاديمي والثقافي العام، وهما من مقومات الجانب المهني، مغفلاً – تماماً – ما تميز به هذا الإعداد في رسالات السماء من اعتبار عملية التعليم مهنة يقوم بها صاحبها"0

وسوف يتم التعرف على الوسيلة التي كان يتم بها إعداد المعلم في الفكر التربوي الإسلامي من خلال تناول ما يلي:

ضرورة تلقى العلم على يد المعلم:

إن عظم منزلة العلم والعلماء في الفكر الإسـلامي جعلت المفكرين المسـلمين يؤكدون على ضرورة وجود المعلم كعنصر مهم وأساسي في العملية التعليمية، ومن هنا كرهوا أن تكون الكتب هي المصدر الوحيد الذي يتلقى الطالب منه العلم دون أن يعرض ما يتعلمه على المعلم. " قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –: ثلاث لابد منهم، لابد للناس من أمير يحكم بينهم ولولا ذلك لأكل بعضـهم بعضـا، ولابد للناس من شـراء المصـاحف وبيعها ولولا ذلك لقل كتاب الله، ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجرا ولولا ذلك لكان الناس أميين".

وقد نظر أبو حنيفة إلى المعلم على أنه بمنزلة الرأس من الجســـد، وأنه المصـــدر الأساسـي لإفهام الطلاب:" قيل لأبى حنيفة – رحمه الله تعالى –: في هذا المسجد حلقة ينظرون في الفقه، قال: ألهم رأس؟ قالوا: لا، قال: لا يفقه هؤلاء أبدا".

ويؤكد ابن خلدون – أيضا – على ضرورة وجود المعلم في العملية التعليمة؛ فهو يرى أن وجود المعلم يمثل ضـــرورة حتمية؛ لأنه طرف أســـاس في العملية التعليمية، ســـواء استهدفت تخريج العلماء أم الصناع، ويقول في فصل له بعنوان: " الصنائع لابد لها من المعلم": "وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته".

ولم يكره العلماء المســـلمون تلقى العلم من الكتب فقط، بل عدوا ذلك من أعظم المصـــائب التي يمكن أن يبتلى بها العلم، لذلك أثر عنهم عبارة دقيقة في لفظها عميقة في معناها وهي:" من أعظم البلية تشييخ الصحيفة "، ويقصدون بها – أن يجعل المتعلم من الصحيفة شيخا ومعلما له.

ومن أجل ذلك كان السلف يرون التعلم الحقيقي إنما يكون بصحبة العلماء وملازمة مجالس العلم، ولا يكتفون بمجرد قراءة الكتب أو الصحف من غير أخذ عن شيخ يسدد الطالب إذا أخطأ ويبين له ما التبس عليه.

ولهذا كان من وصـــاياهم الشـــهيرة لمن يطلب العلم: لا تأخذ العلم من صـــحفي، ولا القرآن من مصحفي؛ يقصدون بالصحفي: الذي يأخذ العلم من الصحف، لا من شيوخه وأربابه المتقنين له، العارفين بدقائقه، القادرين على كشف غوامضه، وفك رموزه، وتفسير مصطلحاته. ويقصدون بالمصحفي: الذي تعلم القراءة من المصحف وحده، ولم يتلقه على أيدي القراء المجيدين، يقرؤه عليهم سورة سورة، بل آية آية، يصوبونه إذا أخطأ، ويقومونه إذا اعوج، في نطق كلمة، أو مخرج حرف، أو غنة أو مدة، أو إدغام أو إخفاء، أو إظهار أو إقلاب، أو غير ذلك مما يعرفه قراء القرآن.

إن التفاعل بين المعلم والمتعلم مهم وضـــروري؛ لإحداث الأثر المرجو والفعال من عملية التعلم، وهذا التفاعل – أيضـــا – له أهمية في نقل العلم إلى المتعلمين حيث:" إن العلم والتعليم ثمرة اتصـــال المعلم بالتلميذ، وإذا كانت شـــخصـــية التلميذ تمثل ثاني العنصرين في مسألة العلم والتعليم، فإن شخصية المعلم أولهما بلا شك، وهي – من بعد – أهم العوامل المؤثرة في التعليم".

وتأكيد العلماء المســـلمين على ضـــرورة وجود المعلم، يرجع إلى تعدد وظائفه التي يســـتطيع من خلالها أن يشـــكل شـــخصـــية الطالب؛ " لأن المعلم هو الذي يفتح عيون المتعلم على حقائق كان يجهلها، ولأنه هو الذي يغديه بالمعارف والقيم والاتجاهات... إلى الدرجة التي جعلت كثيرين منهم يعدونه المالك الحقيقي لكل من تعلم على يديه، قال شعبة: كل من كتبت عنه حديثا فأنا له عبد".

التدقيق في اختيار المعلم:

إن المنزلة المرتفعة للمعلم في الفكر الإسلامي، واشتراط العلماء المسلمين ضرورة وجوده، وتلقى العلم على يديه، كان يتبعها – بالضرورة – الدقة في اختيار المعلم الذي سيتولى مسؤولية التعليم، وتلك ميزة تنفرد بها التربية الإسلامية عن غيرها من النظم التربوية.

حيث إن الطالب هو الذي كان يختار معلمه، ولا يتم فرضـــه عليه من قبل القائمين على أمر التعليم، وهذا يؤدى إلى فوائد متعددة منها، أن الطالب ســـوف يقبل على من يثق فيه ويرتاح إليه، ووجود مثل هذه الثقة يعد الخطوة الأولى لتعليم جيد، كما إن الاختيار هذا معناه أن الطالب سوف يقبل على المعلمين ذوي المستوى العلمي المتميز،

وهذا ما كان يتم بالفعل، وبالتالي لن يبقى إلا المعلم الجدير برســـالة العلم، وســـينقى الميدان من الضعفاء والدخلاء على المهنة.

وقد أكد (برهان الإسلام الزرنوجى) على حسن اختيار المعلم حيث يقول:" فينبغي أن يختار الأعلم والأروع والأســـنُّ، كما اختار أبو حنيفة – رحمه الله تعالى – حماد بن سليمان – رحمه الله – بعد التأمل والتفكير، وقال: وجدته شيخا وقورا حليم صبورا، وقال: "ثبتُّ عند حماد بن سليمان فنميتُ".

ويطالب شيخ الإسلام (زكريا بن محمد الأنصاري) المتعلم بالدقة في اختيار معلمه، وألا يعتمد على نفسه – فقط – في تحصيل العلم، لذلك ينصح المتعلم:" بألا يعتمد على فراسته الشخصية، ويطلب العلم على مجهوده هو فقط، بل لابد له من أن يدرس على أستاذ طيب السمعة، رفيع المستوى موثوق بعلمه"؛ لأنه – كما يقول الغزالي – يربيه ويرشده إلى سبيل الله – تعالى –، فكما أرسل الله لعباده رسولا يرشدهم، فإذا ارتحل فقد خلف الله – تعالى – العلماء مكانه يرشدون الناس إلى سبيله.

وتوجب جماعة إخوان الصفاء على أعضائها ضرورة الدقة في اختيار من يتلقون العلم على يديه، حيث يقولون في إحدى رسائلهم: " واعلم – أيها الأخ – أن من سعادتك أن يتفق لك معلم ذكي، جيد الطبع، حسن الخلق، صافي الذهن، محب للعلم، طالب للحق، غير متعصب لرأى من المذاهب".

ويدلل ابن جماعة على أهمية اختيار المعلم بقوله: "وإذا سبرت أحوال السلف والخلف لمَ تجد النفع يحصل – غالبا – والفلاح يدرك طالبا إلا إذا كان للشيخ (المعلم) من التقوى نصيب وافر، وعلى شفتيه ونصحه للطلبة دليل ظاهر". لذا فليس كل أحد يصلح للتعليم، إنما يصلح من تأهب له وأعد إعدادا طيبا فالإنسان لا ينتصب للتدريس إلا إذا كان أهلا لذلك".

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاهتمام بالتدقيق في اختيار المعلمين وإن كان واضحا – – بصـــورة كبيرة – في الفكر التربوي الإســـلامي، إلا إننا نجد بعض النظم التربوية الأخرى، كالنظام التربوي عند المصريين القدماء، والنظام التربوي في العصر المسيحي، لم يكن يسمح لغير رجال الدين بممارسة مهنة التعليم؛ كونهم الصفوة في المجتمع، لذلك: "عدَ رجل الدين هو المعلم".

ومن هنا وجدنا ارتفاع شأن طبقة رجال الدين في المجتمع حيث: " أصبح للكهنة (أو رجال الدين) الحق في ممارســة التربية بهذه الطريقة العفوية الموروثة في التعليم، وظهر المدرس كقائد ديني مؤثر، يجسد في ذاته صفة التكامل الأخلاقي، وينفرد بنمط جاذبيته الشخصية".

إن المعلم هو المسؤول عن إكساب المتعلمين قيم المجتمع، ونمط العادات السائدة فيه، وبالجملة فهو المســؤول عن إكســابهم فلســفة المجتمع، ومن هنا تظهر خطورته وأهميته في العملية التربوية: " فمهما بلغ مســـتوى الأهداف التربوية من طموح، ومهما بلغت الســياســـات التربوية والخطط المنبثقة عنها من إحكام، فإن المســؤول المباشــر والعامل الحاكم في تنفيذ هذه السياسات ونجاح مخططاتها، هو المعلم".

نظام إعداد المعلم في الفكر التربوي الإسلامي:

يرى ابن خلدون أن التعليم جملة من الصـــنائع التي لابد لها من الإعداد والإلمام بقواعده وأصوله حتى تحصل الملكة:" ومالم تحصل هذه الملكة لم يمكن الحذق في ذلك الفن المتناول حاصلا".

تحت عنوان العلم صناعة لابد من الإعداد لها يقول حاجى خليفه:" واعلم أن الحذاقة والتفنن في العلم والاستيلاء عليه إنما هو بحصول الملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده، والوقوف على مسائله، واستنباط فروعه من أصوله".

ويشـــير ابن جماعة إلى: "أن التعليم لا يتغير بغير المعلم، وأن عناصـــر التعليم تفقد أهميتها إذا لم يتوفر المعلم الصالح الذي ينفث فيها من روحه، فتصبح ذات أثر وقيمة".

وبالرغم من هذا المفهوم حول ضـــرورة الإعداد للمهنة، إلا إن إعداد المعلمين لم يكن يتم بالصـــورة التي يوجد عليها حاليا، حيث إن الإعداد بشـــكله الحالي يعد من ابتداع الحضارة الحديثة، أما في الفكر الإسلامي فقد كان يتم اختيار المعلمين من بين أفضل الخريجين؛ ليقوم بمهمة التدريس بعد أن يمر بسـلسـلة من الإجراءات؛ حتى يصـل إلى الدرجة التي يثبت فيها أهليته لأن يكون معلما.

والناظر إلى العلوم الإسلامية – بصفة عامة – يرى أن العلماء كانوا يبدعون ويكتبون كل في مجاله دون الاهتمام بالمصطلحات الخاصة بالعلم، التي هي من ابتداع العصور المتأخرة، فجوانب إعداد المعلم الثلاثة المعروفة – حاليا – نجدها في كلام علماء التربية المسلمين، ولكن لم ينص عليها بأسمائها تصريحا؛ فهي من ابتداع الحضارة الحديثة، إلا إننا نستطيع القول: إن الشروط التي وضعها العلماء المسلمون للاشتغال بالعلم تدل على أن هذه المحاور كانت موجودة، لا يتولى المعلم القيام بأعباء المهنة دون أن يكون ملما بها، لذلك اشـترط العلماء المسـلمون أن يكون للمعلم آداب في نفسـه، وآداب مع طلبته، وآداب في مجلس درسه.

أما عن التكوين العلمي للفرد، فكان يتم عن طريق الاتصال بالعلماء البارزين، والسفر إليهم لتلقى العلم من منابعه، ثم يجازون من معلميهم؛ بمعنى أنهم كانوا يأخذون رخصـة لمزاولة مهنة التعليم.

إذن فالإعداد في الإسلام كان يتم عن طريق اتصال الطالب بأستاذه اتصالا مباشرا، ولم يكن يحصـــل الطالب على إجازة التدريس من معهد علمي أو مؤســـســـة أو جهة حكومية مسئولة، ولكن كان يحصـل عليها من شـيخه الذي تلقى العلم على يديه، ندرك من ذلك أن إعداد الفرد من الناحية العلمية كانت تقع مسـؤوليته على الفرد نفسـه، يختار العلم الذي يناسـب ميوله، ويتفق مع رغباته في ظل نظام تعليمي حر؛ لا يتقيد بزمان أو مكان.

ويرتبط بالحديث عن التكوين العلمي للفرد، أو الإعداد للمهنة إذا جاز التعبير، يرتبط بالإعداد الحديث عن الرحلة في طلب العلم كوسـيلة شـائعة وأسـاسـية في تلقى العلم، ثم الحديث عن الإجازات العلمية؛ فهي – بتعبير العصـــر الحديث – الشـــهادة التي تمنح الحاصلين عليها الرخصة لمزاولة المهنة.

أولا: الرحلة في طلب العلم:

كان للرحلة في طلب العلم دور كبير في التكوين العلمي للفرد عن طريق اتصـــال المتعلمين اتصـالا مباشرا بالعلماء. كان الرُّحلة من ألقاب العلماء، وهو العالم الذي يرحل إليه الطلاب للأخذ عنه، وتلقى العلم على يديه، غير مبالين ببعد المســـافة أو مشـــاق الطريق، يدفعهم إلى ذلك شهرة هذا العالم ومكانته العلمية، أو التأكد من صحة معلومات معينة، حتى وجدنا العالم الإسلامي المترامي الأطراف وكأنه قطر واحد.

إن الرحلة في طلب العلم تعد تقليدا من تقاليد الإسلام، ظهرت منذ العصر الإسلامي الأول، وكما حث الإســـلام على طلب العلم، نجده – أيضـــا – يحث على الرحلة في ســـبيله؛ إذ هي بمفهوم الإســـلام تدل على صـــدق نية المتعلم في طلب العلم، وتحمل المشاق والفناء في سبيل تحصيله، كما إنها تؤدى إلى الالتقاء بالأساتذة المتخصصين

والأخذ عنهم مشـافهة، كذلك تتيح الرحلة للطالب مناقشـة أسـتاذه في المسـائل العلمية المختلفة، الأمر الذي يؤدى إلى قوة شخصيته العلمية.

وقد أسـهمت الرحلات العلمية في التكوين العلمي للفرد، أو بتعبير العصـر الحديث أسـهمت هذه الرحلات في إعداد المعلم في العصـور الإسـلامية الأولى، وإن لم يعط هذا التكوين العلمي هذا الاسم (الإعداد)، لذا وجدنا العلماء المسلمين يحثون عليها ويعددون فوائده، بل كان هذا الأمر موجودا لدى السابقين، ولعل في قصـة سيدنا موسـى – عليه السـلام – والخضـر خير دليل على ذلك، " روى عن جعفر بن سـليمان الضـبعي عن مالك بن دينار قال: أوحى الله إلى موسـى عليه السلام أن اتخذ نعلين من حديد، وعصـا من حديد، ثم اطلب العلم حتى تخرق نعليك أو تخلق نعلاك وتنكسر عظامك"0

عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: "كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ فَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ: إِنِّي جِئْتُكَ مِنْ مَدِينَةِ الرَّسُـولِ – صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ – لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي، أَنَّكَ تُحَدِّثُهُ، عَنْ رَسُـولِ اللَّهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ مَا جِئْتُ لِحَاجَةٍ. قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْـتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّـمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْـلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْـلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَـائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ .

ويعد المحدثون أول من ابتدعوا طريقة الرحلة في طلب العلم؛ حيث أوجبوا على طالب العلم أن يرحل لمصاحبة أستاذه والأخذ عنه مشافهة. ولعل الإمام البخاري خير من يمثل هذا الاتجاه؛ حيث اسـتمر سـتة عشـر عاما يرحل من مكان إلى آخر في

الأقطار الإسلامية المختلفة؛ حتى يجمع الصحيح من الحديث الذي ضمنه في صحيحه. وهؤلاء المرتحلون الخائضـــون في العلم يصـــفهم (ابن خلاد الرامهرمزى) بأنهم يميزون الأثر صـحيحه من سـقيمه، وقويه من ضـعيفه، بألباب حازمة وآراء ثاقبة، وقلوب للحق واعية".

ويعدد ابن خلدون مميزات الرحلة، وما يجنيه المرتحل من ورائها من فوائد، حيث يرى أن تكوين ملكة العلم لدى المتعلم إنما تحصل عن طريق كثرة الشيوخ، فربما تختلط عليه مصـــطلحات بعض العلوم، ولا يســتطيع التمييز بينها، ولا يســتطيع إزالة هذا اللبس إلا مباشرة المتعلم للمعلمين:" فلقاء أهل العلوم وتعدد المشـايخ يفيد تمييز الاصـطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيُجّرد العلم عنها، ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق تُوصِـــلُ وُتنهِضُ قواه إلى الرسـوخ والاسـتحكام في المكان، وتصـحِّح معارفه، وتميزها عن سـواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم... فالرحلة لابد منها في طلب العلم؛ لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ".

ونظرا لتلك الفوائد العظيمة التي تحصـــل للمرتحل، وجدنا بعضـــهم يعدد مصـــدر حصـوله على ما لديه من علم بأنه من بلدان مختلفة، فعندما:" سـأل الكسـائي الخليل بن أحمد من أين علمك هذا؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة". " وقد روى عن أبى الدرداء أنه قال: " لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحدا يفتحها على إلا رجل ببْرك الغِمَاد لرحلت إليه".

ولأن هذا تقليد إسلامي، فقد وجدناه يبدأ بداية قوية في بداية الدعوة الإسلامية، حيث انتقل علماء الصحابة إلى الأقطار التي دخلها الإسلام؛ ليعلموا الناس أمور دينهم، يقرئونهم القرآن الكريم، ويعلمونهم سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وقد أقام كل واحد منهم مركزا علمياً في البلد الذي نزل فيه، ومن أشهر هؤلاء الصحابة:

- عبد الله بن عمر ، وكانت حلقته بالمدينة.
- عبد الله بن عباس، وكانت حلقته بمكة.
- معاذ بن جبل، وكانت حلقته باليمن.
- أبو موسى الأشعري، وكانت حلقته بالبصرة.
- عبد الله بن مسعود، وكانت حلقته بالكوفة.
- عبد الله بن عمرو بن العاص، وكانت حلقته بمصر.

ولم يعرف التاريخ أمة من الأمم رحلت في سبيل طلب العلم، وضربت في ذلك أروع الأمثال، وخلدت في ذلك وقائع تذكر فتشكر، مثل الأمة الإسلامية، ولا سيما علماء الحديث.

وقال سعيد بن المسيب: إن كنت لأرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد. وقال الشعبي بعد أن روى حديثاً لرجل: خذها بغير شيء، وإن كان الرجل ليرحل فيما دونها إلى المدينة. أو فيما دونها فيما دون هذه المسألة أو فيما دون هذا العلم دليل على الرحلة في طلب العلم كما يشير إليها – أيضا – قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً على الجنة).

قال الشعبي: "لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة، ما رأيت أن سفره ضاع". " وقال الشعبي: لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع". " وعن يسر بن عبيد الله الحضرمي قال: إني كنت لأركب إلى المصر من الأمصار في الحديث الواحد لأسمعه".

وأخرج الخطيب عن أبي العالية قال: كنا نسمع عن أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فلا نرضى حتى خرجنا إليهم فسمعنا منهم. وقيل لأحمد بن حنبل: رجل يطلب العلم يلزم رجلاً عنده علم كثير أو يرحل؟ قال: يرحل، يكتب عن علماء الأمصار، فيشافه الناس ويتعلم منهم.

وقد اشتهر بين المسلمين هذا القول: "اطلبوا العلم ولو بالصين" حتى رفعه بعضهم حديثاً إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – وما هو بحديث، إنما هو كلمة إسلامية مأثورة عن سلف الأمة، ومعناها صحيح بالإجماع. وإنما ذكروا "الصين" خاصة؛ لأنها كانت أبعد ديار الحضارة المعروفة عن جزيرة العرب.

وقد ألف العلّامة الخطيب البغدادي كتاباً خاصاً سماه "الرحلة في طلب الحديث"، ذكر فيه فضل العلم، والرحلة في طلبه، ورحلات الصحابة إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – للأخذ عنه والتعلم منه، ورحلات الصحابة بعضهم إلى بعض للاستفادة والتلقي المباشر، ورحلات التابعين إلى الصحابة للأخذ والتعلم، ورحلات التابعين بعضهم إلى بعض، ورحلات الأئمة الحفاظ في العصور المختلفة وما قاسوا فيها من مشاق السفر وصعوباته في تلك الأزمان.

ثانيا: الإجازات العلمية:

وترتبط بالرحلة في طلب العلم؛ حيث كان الحصـــول على إجازة التدريس أحد أهداف الرحلة، وكذلك ترتبط الإجازة بعملية الإعداد العلمي لعلماء المسلمين.

الإجازة لغة مصــدر فعل (أجاز)، ويتضــمن عدة معان لغوية نصــت عليها المعاجم العربية. يقال: (أجاز الشيء) أي: جعله جائزاً. و (الإجازة): الإباحة والتسويغ، و (أجاز الرأي والأمر) أنفذهما. وفي الحديث النبوي: "إني لا أجيز على نفسـي شـاهداً إلا مني"، وتأتي أيضـــاً (أجازه) بمعنى أعطاه الجائزة، ومنه الحديث النبوي "أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم". وذكر أيضـــاً أنه مشـــتق من (جواز الماء)، والجواز هو الســـقي، يقال: (أجيزونا) أي اســـقونا، و (المســـتجيز) هو المســـتســـقي، و (اســـتجزته فأجاز لي) أي استسقيته فسقاني.

" والإجازة في أصـلها ضـمان بعلم الطالب، وقدرته على نقل هذا العلم، وقد بدأت مع علم الحديث، وهو العلم الذي تشدد فيه المسلمون كثيرا؛ بسبب ما ناله من تحريف ودس وتزييف، ولذلك وضعت له القواعد الشديدة، أكثـر من غيـره من العلوم؛ للتأكد من صحة الحديث، ومن هنا كانت الإجازة للدلالة على صـــــحة نقل الناقل من المنقول عنه، ثم انتقلت بعد ذلك إلى باقي العلوم".

روي عن ابن ســـيرين رحمـه الله قولـه: (إن هذا العلم دينٌ، فانظروا عمن تـأخـذون دينكم). وذكر الســـخاوي عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: (إنها لو بطلت – الإجازة – لضـــاع العلم). وذكر الخطيب البغدادي قول الإمام محمد بن أســـلم الطوســـي: (قُربُ الإسـناد قربةٌ إلى الله عز وجل). وقال ابن جماعة: ليس المقصـود بالسـند في عصـرنا إثبات الحديث المروي وتصـــحيحه، إذ ليس يخلو فيه ســـند عمن لا يضـــبط حفظه أو

كتابه، ضبطا لا يعتمد عليه فيه، بل المقصود بقاء سلسلة الإسناد المخصوص بهذه الأمة فيما نعلم، وقد كفانا السلف مؤونة ذلك، فاتصال أصل صحيح بسند صحيح إلى مصنفه كاف، وإن فقد الإتقان في كلهم أو بعضهم.

جاء في كتاب الوجازة في الإثبات والإجازة: (هذه الإجازات التي ارتسمت في الدفاتر، وأخذت عن الأكابر، وتسلسلت برجال أهل العلم والتثبت بعد تدوين كتب السنة وغيرها؟! ما هي إلا تأكيدا لمنهج السلف الصالح في حفظ اتصال السند، والانتساب إلى رجاله، حتى يصل مرفوعًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم).

معنى ذلك أن الدرجات العلمية الموجودة – حاليا – لم تكن موجودة في العصور الإسلامية الأولى، حيث لم تكن هناك المعاهد – كما هو الحال حاليا – التي تمنح هذه الدرجات العلمية. " إنما كان الامتحان امتحان الرأي المحيط به من علماء ومتعلمين، فمن آنس في نفسه القدرة على أن يجلس مجلس المعلم جلس، وتعرض لجدال العلماء ومناقشتهم، وكان في هذا ما يكفي لحماية العلماء من المتطفلين والجاهلين".

ولعل هذا يذكرنا بالمناقشات العلمية التي تقام بالجامعات لنيل الدرجات العلمية، أو بتعبير الفكر الإسلامي لإجازة أعضاء جدد لتدريس التخصصات المختلفة، فإذا تمكن المدرس الجديد من الرد على أسئلة المناقشين له، والتي كانت تصل إلى درجة التحدي، إذا تمكن من الرد عليها، واقتنع بهذه الإجابة المتحلقون حوله، فإنه يستمر في عمله ويزاول مهنة التدريس، حتى وإن أخطأ بعد ذلك فلا شيء عليه؛ لأنه تمكن من اجتياز هذا الاختبار الصعب في بداية حياته العلمية، أما إذا لم يتمكن من الرد على أسئلة المناقشين، فإنه يعود كما كان طالبا، يتلقى العلم، ويتعلمه على يد المتخصصين فيه. لقد أراد العلماء بذلك صيانة العلم وحمايته من الدخلاء عليه، كما إن هذا التقليد

الإسـلامي أدعى إلى أن يتمكن الطالب من تخصـصـه؛ حتى يسـتطيع الصـمود أمام الممتحنين.

ولم تكن الإجازة نوعا واحدا، أو تخص فرعا واحدا من فروع العلم، ولكن تعددت الإجازات فكانت هناك "الإجازة بالفتيا والتدريس لمذهب الطالب، والإجازة بتدريس مادة من المواد، والإجازة بتدريس عدة علوم، والإجازة العامة، وهي التي يجيز فيها الشـيخ للطالب جميع ما تلقاه عن الشـيخ من علوم، وما رواه من المؤلفات والكتب في أصـناف العلوم على اختلاف أنواعها، فهي إجازة عامة شاملة لسائر مظاهر إنتاج الشيخ ونشاطه العلمي".

وقد أورد القلقشـندي عددا من هذه الإجازات يقول: " أما الإجازة بالفتيا، فقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس أن يأذن له شـيخه في أن يفتى ويدرس، ويكتب له بذلك، وجرت العادة أن يكون ما يكتب – في الغالب – في قطع عريض، إما في فرْخه الشَّـامِّى أو نحوها من البلدي، وتكون الكتابة بقلم الرِّقاع أسـطرا متوالية، بين كل سطر نحو أُصْبُع عريض".

كما أورد الإجازة الخاصـة بعراضـة الكتب، يقول: " وأما الإجازة بعراضـة الكتب، فقد جرت العادة أن بعض الطلبة إذا حفظ كتابا في الفقه أو أصول الفقه، أو النحو، أو غير ذلك من الفنون، يعرضـه على مشـايخ العصـر، فيقطع الشـيخ المعروض عليه ذلك الكتاب، ويفتح منه أبوابا ومواضـع، يسـتقرئه إياها من أى مكان اتّفق، فإن مضـى فيها من غير توقف ولا تلعثم، اسـتدل بحفظه تلك المواضـع على حفظه الكتاب، وكتب له بذلك". وهي أشبه بالمناقشات التي تجرى بالجامعات حاليا.

معنى ذلك أن الإجازات العلمية، وما يسبقها من مناقشة للطالب كانت تعطى الشرعية للفرد كي يمارس مهنة التعليم، وفى الوقت نفسه تحمى المهنة من الدخلاء عليها، والذين يسيئون إليها، ومن هنا وجدنا علماء بارزين في كل مجال من مجالات العلم؛ حيث كانوا على درجة عالية من العلم والتعمق فيه، بالإضـــافة إلى أنهم كانوا موســـوعيين؛ بمعنى أنهم كانوا يجمعون بين أكثر من تخصص.

وعند إعطاء الإجازة كانت تحدد ألقاب المجاز، وكأنه – بتعبير العصـــر الحديث – تحديد للأوائل الذين فاقوا أقرانهم في أثناء الدراســـة، أو تحديد للدرجات العلمي، يقول القلقشـندي في ذلك:" وتكون ألقاب المجاز على قدر رتبته، مثل أن يكتب له: الفقير إلى الله تعالى، الشيخ، الإمام، العالم، العامل، الأوحد، الفاضل، المفيد، البارع، عَلَمُ المفيدين، رحلة القاصدين، خلانُ الدين، أبو فلان ابن فلان ابن فلان (بحسب رتبة آبائه)".

ويرجع انتشار نظام الإجازة العلمية إلى ثلاثة عوامل:

1. اتســاع دائرة التصــنيف والتأليف الإســلامي منذ القرن الثاني، والإجازة هي وســيلة لضــمان صــحة المؤلفات وســلامة نســبتها إلى مؤلفيها، ولم يكن هذا ممكنا من دون الاتصال المباشر بين الطلاب والشيوخ وإثبات ذلك الاتصال شفاهه، ثم كتابة في صدور المخطوطات أو ذيولها.

2. كره العلماء أن يأخذ المرء العلم من الكتب مباشـــرة بلا إجازة من عالم، وأســـموه (التصحيف)، وفي هذا يقول المعري: "أصل التصحيف أن يأخذ الرجل اللفظ من قراءته في صحيفة ولم يكن سمعه من الرجال فيغيره عن الصواب"، وهكذا صارت الإجازة لازمة لضمان انتشار العلم صحيحا خاليا من التحريف.

3. غياب هيئة دينية رسمية تحدد صحيح الدين، هو الدافع وراء ظهور نظام الإجازة لأن العلماء سواسية ومعيار التفاضل بينهم هو القدرة على الاجتهاد والاستنباط من مصادر التشريع، وبالتالي كانت هناك ضرورة لوضع آلية تنظم قواعد الاستنباط والاجتهاد، وعدم الإخلال بها ممن لم يتلقوا تعليما معتمدا، وكانت الإجازة هي الطريقة التي تم الاهتداء إليها؛ لأنها تضمن خلق أجيال جديدة من العلماء تنهل من العلماء الثقات الذين ارتضت الأمة مناهجهم البحثية وطرائقهم في الوصول للحكم الشرعي.

أركان الإجازة: أركان الإجازة:

- المجيز: وهو الشيخ الذي يمنح تلميذه أو أحدًا ما الإجازة بنقل المرويات.
- المُجاز له: من تحصل الإجازة من الشيخ.
- المجاز به: وهي الكتب والأحاديث التي أجاز المجيز للمجاز له روايتها.
- لفظ الإجازة: وهي ما يقوله المجيز للمجاز له.

إن إعداد المعلم بالشكل الموجود عليه في العصر الحديث، لم يكن موجودا في العصور الإسلامية الأولى، وإنما كانت عملية تكوين الفرد علميا تتم عن طريق التلمذة على يد العلماء البارزين في مجالاتهم؛ حيث اشترط الفكر التربوي الإسلامي ضرورة تلقى العلم على يد أستاذ، وألا يتخذ الفرد من الكتب معلما أو شيخا له. لذلك كان الطلاب يرحلون إلى كل قطر من الأقطار الإسلامية؛ بحثا عن معلومة أو لتلقى العلم على يد عالم شهير، وقد وجدنا الجنسيات المختلفة تجتمع لدى المعلم الواحد، وهذا لم يكن مستغربا؛ حيث كانت الحدود بين البلدان مفتوحة لا قيود على عملية الانتقال.

أما الرخصة لمزاولة المهنة، فكانت تتم عن طريق الإجازات العلمية التي كانت تعطى للطلاب من شيخهم، أو أستاذ المادة بتعبير العصر الحديث، تجيز له أن يدرس مذهبه، أو أن يعرض كتبه، وكان هذا يتم بعد مناقشات علمية ساخنة، يجاز بعدها الطلاب إن أظهر كفاءة وتمكنا في أثناء رده على أسئلة المناقشين له، ولا شك أن ذلك أدعى إلى أن يتمكن الطالب من المادة العلمية؛ تجنبا للوقوع في مأزق في أثناء جلسة المناقشة.

الفصل الثالث

الدور الأخلاقي للمعلم في الفكر التربوي الإسلامي

تمهيد:

علمنا كيف أن المعلم نال مكانة عظيمة في الإســلام، الأمر الذي أدى إلى التشــديد في اختيار المعلمين، من الناحية الخلقية والعلمية، تلك المنزلة جعلت المعلم ينظر إلى ما يقوم به من واجبات التعليم على أنه رســـالة ينبغي عليه أن يتقن أداءها، وبالتالي وجدنا بعضـــهم يرفض أن يأخذ المقابل المادي على هذا العمل، وقد أدرك المجتمع الإسـلامي خطورة الرسـالة التي يقوم بها المعلمون في تنشـئة أبنائهم، فأحسـنوا اختيارهم واشترطوا فيهم الصفات الخلقية التي تجعلهم يطمئنون عندما يرسلون أبناءهم إليهم.

وقد حدد القرآن الكريم وظيفة المعلم عندما تحدث عن وظيفة الرسل يقول تعالى:" **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُـولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** " (البقرة129).

معنى ذلك أن وظيفة المربى ليســت تعليمية فقط، ولكن المجتمع ينتظر منه أن يقوم بما يلي:

1. التزكية: أى التنميـــة والتطهير والسمو بالنفس المسلمة إلى بارئها وإبعادها عن الشر والمحافظة على فطرتها.

2. التعليـم أى نقل المعلومات والعقائد إلى عقول المؤمنين وقلوبهم ليطبقوها في سلوكهم وحياتهم العملية.

ومن هنا كانت عناية التربية الإســـلامية عناية بالغة في اختيار المعلم، كما إنها أفاضت في رسم شخصيته بدقة تامة، وتشددت في ذلك؛ رغبة منها في خلق شخصية

مثالية معينة في المدرس؛ حتى يمكنه أن يقوم بواجبه في تنشـــئة التلاميذ وتهذيبهم خير القيام.

المسؤولية الأخلاقية للمعلمين:

ينظر الفكر التربوي الإســـلامي إلى وظيفة المعلم على أنها وظيفة أخلاقية في المقام الأول، لذا وجدنا هذا الاهتمام المتزايد بآداب المعلمين عند هؤلاء – والتي سيأتي الحديث عنها تفصـــيلا – فهو المســـؤول عن تعليم أبناء المجتمع وتوجيههم وتربيتهم وتهذيبهم، وهي مسؤولية دينية وأخلاقية وإنسانية عظيمة، وهو المسؤول عن ثقافة أبناء الأمة. إن المجتمع ينتظر من المعلم أن يكون مســـؤولا عن تهذيب أخلاق طلابه وســـلوكهم، وعن غرس كل الفضائل الخلقية في نفوسهم.

ومهمة المعلم لا تنحصـــر – فقط – في الســـعي وراء العلم وتحصـــيله من مصـــادره المختلفة، كما لا تنحصـــر مهمته في نشـــر ما تعلم ونقله إلى الآخرين، وإنما يرتبط بهذا العلم أن يكون المعلم ذا سلوك خاص، يتمسك بقيم ومبادئ وآداب أخلاقية، تعبر أصدق تعبير عن إنســـانية التعليم، وهذه القيم الأخلاقية هي التي تكســـب عملية التعلم والتعليم الطابع الإنساني.

إن الآباء يثقون ثقة مطلقة في المعلمين؛ حيث يرســـلون إليهم أبناءهم وهم في تلك السن الصـغيرة دون خوف عليهم، وهم على يقين من أن المعلم سيشكلهم بالطريقة التي يريدها الآباء، إننا إذا أدركنا عظم الأعباء والتبعات الملقاة على عاتق المعلمين، لأدركنا أن رسالة التعليم ليست مقدسة وشريفة فحسب، ولكنها تمثل الحياة لكل أمة؛ فهي رسالة لها أهميتها وخطرها، لذلك فهي تتطلب ممن يريد مزاولتها اســـتعدادا وإعدادا خاصـــين؛ حتى يكون على مستوى الرسالة والأمانة التي سيقوم بأدائها.

وحتى يتمكن المعلم المسلم من النجاح في عمله، وفى تأدية الأدوار التي ينتظرها المجتمع منه، لا بد له من أن يكون ذا شخصية إسلامية متميزة، كذلك لا بد له من أن يتصف بعديد من الصفات الروحية والخلقية والنفسية والمزاجية والعقلية والبدنية، إن اتصافه بهذه الصفات يضمن له النجاح في عمله التعليمي، وفى كل عمل يتوقعه المجتمع منه.

لقد أدرك علماء التربية المسلمون خطورة الدور الخلقي للمعلم، فكان هذا الاهتمام من قبلهم بالتأليف في الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المعلمون، حتى وجدنا بعضهم يؤلف كتابا مستقلا تحمل هذا المعنى، وبعضهم الآخر يضمن كتبه بابا منها.

وهذا التشدد من الفكر التربوي الإسلامي حول أخلاق المعلمين يرجع إلى عدة أمور:

أولا: إدراك الفكر التربوي الإسلامي لأهمية القدوة في العملية التعليمية:

حيث تحتل القدوة في التربية الإسلامية موقعا رفيعا، ويعد الرسول – صلى الله عليه وسلم – القدوة لجميع المعلمين، قال تعالى:" لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (الأحزاب 21).

فالإسلام لم يرض للمنهج السوي الذي جاء به كتاب الله تعالى، وبينه قولا وعملا نبي الإسلام – صلى الله عليه وسلم –، لم يرض الإسلام ولا المبلغ به عليه السلام، أن يكون قائما على الكلمة والمواعظ دون أن يتفق الفعل مع القول، ودون أن تجد الكلمة طريقها من اللسان إلى الجوارح فتترجم الكلمة إلى سلوك واقعي ملتزم، وخلق محترم، وعادة ممتزجة بالإنسان امتزاج الروح بالجسد.

إن الإنســـان بطبعه يحب التقليد، وفى ميدان التربية والتعليم نجد المتعلم يميل إلى تقليد معلمه؛ فهو المثل الأعلى الذي يجده التلميذ أمامه، وهو قدوته الصـــالحة، يقلد سلوكه، ويحاكى خلقه بقصد أو دون قصد، وتطبع في نفسه إحساس المعلم وصورته القولية والفعلية والحسـية والمعنوية من حيث يدري أو لا يدري، لذلك كانت القدوة عاملا ذا تأثير كبير في إصلاح المتعلم أو إفساده، فإذا كان المربى صادقا أمينا كريما شجاعا عفيفا، نشأ المتعلم على الصدق والأمانة والخلق الكريم والشجاعة والعفة.

وهذا الأمر جعل الآباء يطلبون من معلمي أبنائهم أن يحســنوا أخلاقهم، وأن يكونوا قدوة صـالحة لأبنائهم، فقد كتب ابن حبيب كتابا لمؤدب بنيه:" بسـم الله، أما بعد فلتكن أول ما تؤدب نفســك؛ فإن عيني متعلقة بهم، وأعينهم متعلقة بك، فالحســن عندهم ما استحسنته، والقبح عندهم ما استقبحته".

وهذا الاهتمام بأخلاقيات المعلم في الإســلام هو الذي جعل الآباء يشــترطون على مؤدبي أولادهم أن يتحلوا بجميل الســمات وحميد الأخلاق: " قال عتبة بن أبى ســفيان لعبدالصــمد مؤدب ولده: ليكن إصــلاحك بنىّ إصــلاحك نفســك؛ فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسـن عندهم ما اسـتحسـنت، والقبح ما اسـتقبحت، وعلّمهم سـير الحكماء، وأخلاق الأدباء وتهددهم بي، وأدبهم دوني، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء، ولا تتكلنّ على عذر منى، فإني قد اتكلتُ على كفاية منك".

وكذلك اشـترط عبد الملك بن مروان على مؤدبي ولده بعض الشـروط يقول:" علمهم الصـدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم السّـفلة؛ فإنهم أسـوأ الناس رعةً (قلة الورع)، وأقلهم أدبا. وجنبهم الحشـم؛ فإنهم لهم مفسـدة، وأحْف (بالغ في قص) شـعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم يقووا، علمهم الشعر يَمُجدُوا (مروءة وسخاء) وينجُدُوا (يصبحون شجعان)

ومرهم أن يستاكوا غرضا، ويمصوا الماء مصا، ولا يُعبُّوه عبّا، وإذا احتجت إلى أن تتناولهم بأدب، فليكن ذلك في ستر لا يعلم به أحد من الغاشية (الزوار والأصدقاء) فيهونوا عليه".

فلا يمكن لنظرية مهما تبلغ من الصحة ودقة الفكر، وكذلك لا يمكن لتعليم مهما يكن هذا التعليم رائعا ويقع من الناس موقع الإعجاب، ولا يمكن لهداية مهما تجمع من صنوف الخير، كل ذلك لا يغنى ولا يثمر ولا يبقى على الدهر، إلا إذا كان هناك من يمثله بعمله، ويدعو إليه بأخلاقه وفضائله، ويعامل الناس بالقدوة والأسوة الحسنة، الأمر الذي يؤدى إلى اقتداء الناس به والسير على طريقه؛ لأنهم أعجبوا بهؤلاء الدعاة، بأخلاقهم، وطهارة قلوبهم، وذكاء نفوسهم.

ونظرا لتأثير القدوة في نفوس الناس وجدنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – يهتم بها، ويدعو إلى تخير الأصدقاء، ويدعو إلى الاقتداء بأصحابه، مثل: أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وغيرهم من الصحابة.

ونستطيع أن نقول إن القدوة الحسنة هي – دائما – قيمة موجبة، فبمعادلة حسابية، يمكن أن يحذف عند وجودها قدر مساو من الجهد، فعندما نحتاج في حالة ما إلى جهد متوسط، فعند وجود القدوة يجعلنا في حاجة إلى جهد يسير، وفى حالة أخرى نحتاج إلى جهد كبير، تصبح مع توفر القدوة في حاجة إلى جهد متوسط فقط، وفى الحالات التي تحتاج إلى جهد ضخم وبصورة غير عادية، فإننا مع وجود القدوة نحتاج – فقط – إلى جهد كبير ولكن في حدود الطاقة الإنسانية، ومع وجود أمل في إنجاح هذا الجهد، ومن هنا لا تضيع القدوة الطيبة –أبدا – في آية حالة. ولعل هذا يفسر لنا لماذا كان القُدوة أو القدوة من الألقاب التي اشتهر بها المعلمون في الفكر التربوي الإسلامي.

إذن فأداء المعلم دور يوجب عليه أن يكون قدوة في كل شيء: خلقه و علمه... ولهذا أوجب الفكر التربوي الإســـلامي على المعلم أن يتمثل القيم الإســـلامية داخليا قبل أن يطلب من غيره الاقتداء به، وذلك بتلقائية دون افتعال؛ حيث :" لا تُفتعل الأســوة بالأمر ولا بالجذب، ولا بالدفع ،إنما تتحقق الأسـوة عندما تكشـف شـفافية الذات عند الشـخص الأسوة عن تماسك وتوازن داخلي، فيصبح صاحبها أسوة دون طلب، بل دون جهد من جانبه، إنما يكون الطلب والجهد من المتأســين الطامحين إلى الارتفاع إلى ذلك المثال، وليس على صاحب الأسوة واجب إلا أن يحفظ هذا البناء الداخلي عنده شديد التماسك، دقيق التوازن، سليم التكامل".

إن تأثير المعلم على طلابه عظيم، وربما يفوق تأثير الوالدين؛ فالصبى يتأثر بمعلمه، بالإضافة إلى تأثره بغيره من زملائه أكثر مما يتأثر بآبائه وأهله، إن المعلم هو الذي يقدم لطلابه الغذاء العقلي والديني، وهو الذي يشكلهم وفق عادات المجتمع، كما إنهم يعتنقون آراءه، ويحملونها في أنفسهم، ويصعب تحويلهم عنها.

ثانيا: اهتمام الفكر التربوي الإسلامي بالبعد الخلقي للتربية:

ربما حدث خلط لدى البعض حول مفهوم كل من التربية والتعليم، فيسـتخدمان بمعنى واحد، وإذا لم يحدث لبس، وجدنا أن الاهتمام ينصــب على الجانب العقلي – فقط – في التربية، لذلك فإن أولياء الأمور يقيسون تقدم أبنائهم بمستوى التحصيل الذي وصلوا إليه، أما في الفكر التربوي الإســـلامي فإن كل الاهتمام موجها إلى الجانب الخلقي للتربية إضافة إلى بقية الجوانب.

فقد كانت نصـائح الآباء إلى أبنائهم تدعوهم إلى محاسـن الأخلاق: " قال حبيب بن الشـهيد لابنه: يا بنى اصـحب الفقهاء والعلماء، وتعلم منهم، وخذ من أدبهم؛ فإن ذلك أحب إلىّ من كثير من الحديث"، " وقال بعضـهم لابنه: يا بنى لإن تتعلم بابا من الأدب أحب إلىّ من أن تتعلم سـبعين بابا من أبواب العلم"، " وقال مخلد بن الحسـين لابن المبارك: نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث".

ويبين الغزالي مفهومه للتربية – بالتركيز على معاني التربية الأخلاقية والسـلوكية –، في قوله: "فاعلم أنه ينبغي للسـالك من شـيخ مرشـد مرب ليخرج الأخلاق السـيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقاً حسـناً، ومعنى التربية يشـبه فعل الفلاح الذي يقلع الشـوك، ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه. ولابد للسالك من شيخ يربيه ويرشده إلى سبيل الله تعالى، لأن الله أرسل للعباد رسولاً للإرشاد إلى سبيله...".

ويلخص الغزالي التربية والتعليم في عنصرين وهما: التخلية والتحلية؛ حيث عد المعلم شـيخاً ومرشـداً، ومربياً؛ لكي يخرج الأخلاق السـيئة وهي (التخلية) ويجعل مكانها خلقاً حسناً (التحلية)، وكأن الغزالي يعد الخلق اسماً جامعاً لكل الفضائل التي يجب أن يتحلى بها الإنسـان سـواء كانت علوماً يتعلمها، أو سـلوكيات يروض نفسـه عليها، وهذا يتضـح من اسـتخدامه لمصـطلح التهذيب في كتابه الإحياء حين قال: "وإن كان قصـدك فيه (يعني طلب العلم) إحياء شريعة النبي – صلى الله عليه وسلم – وتهذيب أخلاق، وكسر النفس الأمارة بالسوء، فطوبى لك ثم طوبى لك".

فالأخلاق في نظر المسـلمين أفضـل من العلم؛ فهي – في الإسـلام – المقياس الذي يقاس في ضـوئه نجاح كلٍ من المعلم والمتعلم على حد سـواء، ومثلما تسـبق الصـلاة بالوضـوء، كذلك يجب أن يبدأ كل من المعلم والمتعلم بتطهير نفسـيهما من الرذائل

والنقائص؛ لأن العلم – في نظر الإسلام – نوع من العبادة، ولا شك في أن هذا ما يميز التربية الإسـلامية عن غيرها من النظم التربوية، بل كان هذا البعد الأخلاقي هو من أهم الأسس التي بنيت عليه الحضارة الإسلامية.

إن المجتمع يسـعى إلى إكسـاب أفراده القيم التي يؤمن بها، ويسـعى إلى المحافظة عليها، وهذا يتم عن طريق التربية؛ فالعمل التربوي – في جوهره – عمل أخلاقي، مادام هذا العمل يقصـد تنمية الفرد إلى مسـتويات أفضـل، فالنمو الخلقي هو القيمة العليا للتربية.

وتتميز التربية الإسـلامية بأنها تربية متكاملة؛ لا تهتم بالجسـم على حسـاب الروح أو الجماعة على حسـاب الفرد، ولكن الإسـلام عند معالجته للكائن البشـرى، إنما يعالجه معالجة كلية شاملة، لا تترك منه شيئا، ولا تغفل عن شيء، يتناول جسمه وعقله وروحه، حياته بجانبيها المادي والمعنوي وكل نشاط يقوم به على وجه الأرض.

ندرك مما سبق أن التربية في الفكر التربوي الإسـلامي تهدف إلى غرس الأخلاق في أفراد المجتمع؛ حتى تصـبح هذه الأخلاق وكأنها جزء من النسـيج العضـوي للفرد لا تنفصـل عنه؛ فالتربية تولى كل عنايتها بتغيير السـلوك الإنسـاني إلى الأفضـل؛ لأنه لا فائدة من التغيير إن هو اقتصـر على مجرد الحصـول على معارف ومعلومات جديدة، وكما هو معلوم إنه لا يتم تغيير سلوك الإنسان بصورة سليمة إلا إذا سبق التغيير قاعدة معرفية، ولكن من الصـحيح – أيضـا – أن هذه القاعدة إنما هي وسـيلة لغاية، وأداة تحقيق هدف، ألا وهو ممارسة فعلية لقيمة ما أو لاتجاه ما.

إن المدرسة – في نظر المسلمين – لها دورها في غرس الأخلاق والفضائل والمثل العليا في نفوس التلاميذ، ولاريب أن في ذلك لب الحكمة ونهاية الرشـــد؛ فكل تربية لا تبنى على الخلق الكامل تعد تربية فاشـــلة، كما إن كل مدنية لا تؤســـس على الخير والفضيلة تعد مدينة خداعة زائفة كالسراب.

وقد أدرك بعض المحدثين أهمية الجانب الخلقي للتربية، حيث يتناول جون ديوي في تعريفه للتربية هذا الجانب، فيعرف التربية بأنها: "عملية رعاية وتهذيب وتثقيف". فهي عملية متكاملة، لا تقتصـر على جانب دون آخر في الإنسـان، ولكنها تتناوله من جميع الجوانب مع التركيز على أخلاقه.

ويذكر أن (هربارت) عالم النفس المعروف قد أســـس آراءه التربوية على الأخلاق؛ حيث يرى أن الغاية العظمى من التربية هي الأخلاق والفضـــيلة، ثم يحدد الطريق إلى الفضـــيلة وهو المعرفة الكاملة. ويرى (نن): " أن الغرض من التربية هو التكوين الأخلاقي".

ويرى (نيلو) أن هناك نظرة واســـعة في المجتمع ترى أن التربية عملية أخلاقية، والمعلمون – دائما – ما يلفتون الانتباه إلى ما يجب أن يقوله الطلاب ويصـــنعوه، والكيفية التي يجب أن يكون عليها ســـلوك الطلاب، فهم بذلك معنيون بتوصـــيل القيم الأخلاقية للطلاب، وتحسين سلوكهم الفردي والاجتماعي.

وقد حدد الميثاق الأخلاقي لمهنة التربية والتعليم وظيفة المعلم في البلدان العربية والإســـلامية، وقد غلب على الميثاق الاهتمام بالوظيفة الأخلاقية للمعلمين، فهو الذى: " يغرس الأخلاق الفاضلة، والصفات النبيلة، والعادات الصحية، والثقافة الأصيلة، وتنمية روح الانتماء للوطن، والولاء للعقيدة، ثم للأمة والشـــعب، والنأي عن دعوات الإلحاد،

والطائفية، والعصبية والحزبية، والعنصرية، والإقليمية، والتمسك بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وتراث الأمة العربية الإسلامية العريق، وأن يشذب العادات المائلة عن السبيل القويم، ويهذب التقاليد غير المستقاة من عقيدة الأمة ومنابعها الدينية والحضارية".

ثالثا: نظرة الفكر التربوي الإسلامي إلى التعليم على أنه رسالة لا وظيفة:

ينظر الفكر التربوي الإسلامي إلى المعلم على أنه صاحب رسالة من أقدس الرسالات وأعظمها، رسالة تعـــد امتدادا لرسالة الأنبياء، وهي رسالة العلم والتعليم، إنه بهذا العلم يمكن أن يصـــل إلى العقيدة الســليمة والإيمان القوى، كما إنه بالعلم يصـــل إلى مرحلة الاقتناع الفكري والتصديق الفعلي لأمور الدين.

فقد كان المعلم يزاول عمله ولا يطلب على ذلك أجرا؛ لأنه كان ينظر إلى أمر التعليم على أنه رسـالة ينبغي عليه أن يؤديها لطلاب العلم، والقول بأن المعلم صـاحب رسـالة ليس معناه أنه يوحى إليه بوحي جديد، وإنما هو مطالب بأن يقتفى أثر ســيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – في رسالته، وأن يكون عمله في إطار هذه الرسالة، يدعو إليها، ويتخلق بأخلاقها، ويتمثل لمثالياتها.

إننا عندما نتمثل هذه المعاني والتبعات التي يلقيها المجتمع على عاتق المعلمين، ندرك أن مهنة التعليم، – لابل رسالته – ليست رسالة مقدسة وشريفة – فقط – إنما هي أســـاس وهي الروح التي تبقى على حياة كل أمة، وهي رســـالة لها خطرها وأهميتها، وتتطلب ممن ينوى أداءها إعدادا واستعدادا خاصين؛ حتى يكون على مستوى الرسالة التي سيضطلع بها، وعلى مستوى الأمانة التي سيكلف بحملها.

إذن فنظرة الفكر التربوي الإســـلامي إلى عمل المعلم على أنه رســـالة كان له أكبر الأثر في الاهتمام بآداب المعلمين؛ حيث إن كل صـــاحب رســـالة ينبغي عليه أن يتمثل أخلاقيات الرسالة التي يسعى إلى تبليغها للآخرين، ولا شك أن رسالة التعليم ينبغي أن تكون ممثلة في المعلمين؛ حتى يستطيعوا بدورهم نقلها إلى المتعلمين، ومن هنا لم ينظر الفكر التربوي الإســـلامي إلى المعلم على أنه: " الموظف الذي تخرج بشـــهادة تثبت أنه شدا من العلم قدرا ما".

ندرك مما ســـبق أن المعلمين كانوا يرون عملهم هذا رســـالة، وبالتالي فكانوا ينظرون إلى العلم للعلم، وليس إلى العلم لنيل أغراض معينة، من منصب، أو مال، أو جاه، وإنما كانوا يرون المقابل الأعظم لهذا العلم هو ثواب الله في الآخرة.

ولعل هذا الدور العظيم للمعلم؛ كونه هو الذي يبنى في نفوس المتعلمين الأخلاق النبيلة، جعلت المعلمين ينظرون إلى التعليم على أنه رســـالة يقوم بها المعلم لا مهنة يطلب من ورائها مالا، أو يتوصـــل من خلالها إلى جاه أو سـلطان، إن عمل المعلم يعد رســـالة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وهي ليســـت رســـالة جديدة علينا، ولكنها امتداد لرسالة الأنبياء والرسل، وبالتالي يجب صبغ المهنة بصبغة الرسالة، كما إن على المعلم أن يتخلق بأخلاق الرسول – صلى الله عليه وسلم – في تأديته لواجبات مهنته.

على أن الجانب الخلقي في مهمة المعلم لا يتناقض مع نظرة بعض المعلمين إلى التعليم على أنه مهنة يأخذ عليها الأجر؛ حيث إنه من الســـهل اجتماع كل من الرســـالة والوظيفة ففي حياة المعلم، وذلك إذا كان التعليم في بلد عقدي، حيث يوجب هذا المجتمع

أن يكون للتعليم رسالة في الحياة، ومن هنا تتحدد مقادير الناس بقدر إسهامهم في تحقيق هذه الرسالة؛ إذ سيتحول التعليم – ذاته – إلى رسالة يحصل المعلم بمقتضاها على الأجر، ولكن هذا الأجر لا يقلل من قيمة صاحب الرسالة، كما لا يمنعه من القيام بأعباء هذه الرسالة.

سمات المعلمين واهتمام الإسلام بالأخلاق:

يستند علماء التربية المسلمون في اهتمامهم بموضوع السمات الخلقية للمعلمين إلى الهدف الإسلامي الأول، والخاص بإتمام مكارم الأخلاق، والذي أشار إليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقوله: "إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ"، ومعلوم في اللغة أن (إنما: تفيد القصر)، معنى ذلك أن النبي– صلى الله عليه وسلم – قصر هدف بعثته على إتمام مكارم الأخلاق؛ فهي الغاية الأولى من بعثته صلى الله عليه وسلم، والمنهاج المبين في دعوته.

لذلك كانت سيرته – صلى الله عليه وسلم – صورة للعنصر الأخلاقي الذي دعت إليه العقيدة الإسلامية؛ إذ الأخلاق في الإسلام أشد ارتباطا بالعقيدة الإسلامية، التي تدعو إلى الطهارة والنظافة والأمانة والصدق والعدل والرحمة والبر وحفظ العهد، ومطابقة القول للفعل ومطابقتهما للنية والضمير، والنهى عن الجور والظلم والخداع والغش، وأكل أموال الناس بالباطل، والاعتداء على الحرمات والأعراض...والتشريع الذي وضعه الإسلام إنما هو لحماية العنصر الأخلاقي.

ويعد الدين الإســلامي – لدى علماء المســلمين – هو مصــدر الأخلاق؛ لذلك فهم يســـتمدون منه المبادئ الأخلاقية التي يدعون إليها؛ فالدين – كما يقول العقاد – هو الروح التي تنبث في الأخلاق والتقاليد، ومن هذه الروح يظهر عمل الدين في الواقع، ولا فائدة لدين من الأديان، ولا يحسب له عمل نافع في حياة البشر ما لم يثبت له هذا العمل بين أتباعه، بحيث يصـــدر العمل عن تلك الروح التي وضـــعها الدين، والتي تحكم ما يصدر عن الخلق من أفعال وآداب عن عمد وغير عمد.

فالدين الإســـلامي قد جاء لتنظيم حياة البشـــر، وإقامة العلاقات بينهم على أســـس أخلاقية، عنها تصدر أفعالهم، وبها تحكم تصرفاتهم، ويسعى الدين الإسلامي إلى تربية ضمير الفرد؛ كي يتخذ منه سلطة داخلية تحكم تصرفاتهم، ويسعى الدين الإسلامي إلى تربية ضــمير الفرد؛ كي يتخذ منه ســلطة داخلية تحكم أفعاله، بحيث يصــدر الفرد وفقا لهذه السلطة الداخلية، لا من سلطة خارجية يسهل عليه التخلص منها، والدين الإسلامي – بصفة عامة – هو الذي يحدد موقف الإنسان من ربه ومن الكون الذي يعيش فيه".

ويبدو أن الارتباط بين الدين والأخلاق والوعي به، لم يكن لدى علماء المسلمين فقط، وإنما وجدنا من غير المســلمين من يعي هذه الرابطة بين الدين والأخلاق، فعندما ســئل الزعيم الهندي (غاندي) عن الدين والأخلاق أشــار إلى أن كليهما شــيء واحد لا يقبلان الانفصـــال، كذلك لا يفترق أحدهما عن الآخر؛ لأنهما وحدة واحدة لا تتجزأ؛ لأن الدين كالروح للأخلاق، والأخلاق كالجسد للروح.

إذن فالأخلاق الإسـلامية تعد بمثابة الروح للمجتمع يحيا بها، وفى فسـادها موت لهذا المجتمع، فهي ضـــرورة لبقائه، لذلك فهي ليســـت من مواد الترف؛ حيث لا يمكن أن يستغنى عنها المجتمع المسلم؛ لأنها أصل من أصول الحياة التي ينشدها الإسلام، والتي

يعلى من شأن أصحابها، ونتيجة لذلك وجدنا الإسلام قد أحصى مكارم الأخلاق وفصلها وأوضح معانيها، وحث المسلمين على ضرورة اتباعها والالتزام والتمسك بها.

وترجع الأهمية العظمى للأخلاق في الإســـلام إلى أنها مناط الثواب والعقاب، وهذا يتفق مع طبيعة النفس البشرية التي تربط الفعل بالعائد من ورائه، سواء أكان هذا العائد خيرا أم شــرا، لذلك جعل الإســلام الأخلاق هي المعيار الذي يحدد في ضــوئه الثواب والعقاب؛ حيث يعاقب الناس في الدنيا نتيجة لفســـاد أخلاقهم، كذلك يحرم الناس نعيم الآخرة – أيضا – بسبب سوء أخلاقهم.

ولعل هذا يفســـر لنا هذه القوة التي كانت عليها الحضـــارة الإســـلامية في فترات ازدهارها؛ فقد كان هناك ارتباط وثيق بين الحضارة الإسلامية والقيم الأخلاقية التي دعا إليها الإسلام، بحيث قامت هذه الحضارة على دعائم قوية استمدت قوتها من الأسس الروحية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. وهذا – أيضا – يفسر لنا لماذا تسقط الحضارات الغربية الواحدة تلو الأخرى؛ بسبب بعدها عن الأخلاق وبعدها عن الربط بين جوانب الحضارة المختلفة والقيم الأخلاقية، وجعلها القيم المادية الأساس الأول بل والوحيد في بنائها.

فالإسلام يرى أن الأخلاق هي أساس بناء الحضارة وسبب استمرارها، وفى التمسك بها قوة للأمة وارتفاع لشأنها، وفى البعد عنها سقوط للحضارة؛ فالأمم لا تنهض نهضة سليمة، ولا تعيش الشعوب حياة كريمة إلا إذا سادت فيها الآداب والأخلاق الكريمة، وإذا رأى البعض أن أمة من الأمم قد وصـــلت إلى مرحلة عالية من المجد والســـلطان، وقد تخلت عن طريق الآداب وحادت عن الحق والصواب، فإن هذا المجد مجد قلق، وسلطان زائف سريعا ما تعبث به الأحداث وتذروه الرياح.

والأخلاق الإسلامية ليست أخلاقا مثالية تحلق في الخيال، ولا ترتبط بحياة البشر ولكنها أخلاق واقعية؛ فقد أرسل الله رسوله – صلى الله عليه وسلم – لإصلاح واقع البشر، وتغيير هذا الواقع بالأخلاق الإسلامية، ومن هنا كان اتصاف الأخلاق الإسلامية بالواقعية، وهي بذلك تختلف عن الأخلاق المجردة التي انحرف بها الفلاسفة، عن واقع البشر وحلقت بهم في سماء المثالية، فأوجدت بذلك قيما جوفاء بعيدة عن الواقع الاجتماعي والاقتصادي للبشرية.

حيث تتصف الأخلاق الإسلامية بأنها أخلاق إنسانية تخص الإنسان، تهذبه وتقومه، وتصلح ما بينه وما بين ذاته، كما تصلح ما بينه بين الآخرين، تحافظ على إنسانية الإنسان، وتقوى جانب الخير فيه، وتجعل العلاقة بين أفراد المجتمع علاقة إنسانية؛ علاقة تقوم على أساس حب الخير للآخرين كما يحب المرء الخير لنفسه، وليست العلاقة التي تقوم على المنفعة الشخصية، كما نصت على ذلك الفلسفة البرجماتية النفعية.

الارتباط بين العلم والأخلاق:

للعلم في الإسلام شأن عظيم؛ فهو دين يدعو إليه، ويحث المسلمين على أن يسلكوا سبيل العلم؛ فهو فريضة على كل مسلم ومسلمة، وهو المعيار الذي به يتفاضل المسلمون، وبه يرفع الله العلماء درجات وبه يعبد الله تعالى حق العبادة، وللعلماء تستغفر الملائكة، ولطالب العلم تضع الملائكة أجنحتها، كما تستغفر له الحيتان في البحر، وبالعلم يفضل مداد العلماء دماء الشهداء.

ونظرا لهذه المكانة العظيمة التي أولاها الإسلام للعلم، فقد حث الإسلام على ضرورة الربط بين العلم والأخلاق؛ بحيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر؛ حتى يكون هذا العلم ففي خدمة البشرية، من هنا يمكن اعتبار العلم مصدرا من مصادر القيم الخلقية.

والعلم – في الإسلام – لا ينظر إليه على أنه مجرد حشو الرؤوس بالمعارف والعلوم حتى وإن بلغت هذه العلوم درجة عالية من جلال القدر في موضـــوعاتها، أو في طريقة ثبوتها، وليس هذا خاصــاً بالعلم الدنيوي فحســب، بل والعلم المقتبس من طريق النبوة – وهو العلم الأعلى – لا يكفي فيه تحصــيله واكتســابه، ولكن لابد لصــاحبه من الالتزام بالقيم الخلقية التي يفرضها العلم على المشتغلين به، حتى يكونوا أهلاً لخلافة الأنبياء.

فالعلم في الإســـلام ليس مجردا من الأخلاق، ولكنه يعمل على دعم القيم الأخلاقية؛ ضـمانا لتوجيه هذا العلم إلى ما فيه خير البشـرية، فلا يطلب الإسـلام من الإنسـان أن يصـــل إلى درجة عالية من العلم، بل يأمر العالم أن يكون قدوة لغيره في التحلي بمكارم الأخلاق؛ حتى يكون لعلمه الأثر النافع في حياة الآخرين، فلا يمكن أن يصـلح الإنسـان غيره إلا بعد استصلاح منه لنفسه.

إذن هذه العروة الوثقى بين كل من العلم والأخلاق، تنبع من غاية العلم في الإسـلام، فهو وسيلة المتعلم إلى معرفة الله تعالى حق المعرفة، وهو وسيلة الإنسان كي يتمكن من القيام بمهام خلافته في الأرض خير القيام، فعن طريقه يمكن للإنسان أن يستفيد من كل عناصـــر الكون، وهو في تعامله مع الكون إنما يتعامل من منطلق الأخلاق التي أمره الإســلام بها، وبصــفة عامة فإن العلم في منظور الإســلام وســيلة تهذيب أخلاق الفرد المتعلم وتقويمه.

فالأخلاق التي تعد الهدف من بعثة النبي – صـــلى الله عليه وســـلم – لها أهدافها العظمى التي تسـعى إلى تحقيقها؛ حيث تهدف إلى تكوين رجال يتسـمون بسـمة الربانية –كما أمر الله تعالى– رجال أخلاقهم كريمة وعزيمتهم قوية، أقوالهم وأفعالهم مهذبة، طباعهم الحكمة، وتتســـم بالكمال والأدب والإخلاص والطهارة. وبالجملة، فإن الأخلاق الإسلامية تهدف عن طريق ربط العلم بالأخلاق إلى تكوين ذلك النموذج من الشخصية

التي يطلق عليها علماء النفس مصـــطلح "الشـــخصـــية المتكاملة ". وهذه الشـــخصـــية المتكاملة إذا كانت مطلوبة في المسلمين عامة، فهي للمعلمين أولى؛ فهم القدوة والنموذج الذي يحتذى به التلميذ، ويجتهد في أن يصل إلى مستوى هذه الشخصية.

والأخلاق في الإسلام تحقق فائدة عظمى للمتعلمين، إذا ما كان هناك ربط بينها وبين العلم؛ حيث تعمل على تكوين الحصانة الخلقية في نفوس الناشئين ضد الرذائل والفساد الأخلاقي، بحيث تقوى نفوسهم فلا يتسرب إليها الفساد، ولا يتأثرون به أينما كانوا، ومهما كان إغراؤها.

إن الآباء لا يتوقعون من المعلم أن يكون كل اهتمامه منصبا على توصيل المادة العلمية إلى أبنائهم ولكنهم يتوقعون منه أن يربى أبناءهم تربية شاملة؛ فلم يعد هدف المدرسة الأول هو تلقين التلاميذ بعض المعلومات، ولكن عليها أن تعمل على تحليل المفاهيم والمعلومات التي يتم تقديمها للتلاميذ، بحيث تتحول إلى سلوك وعادات في حياتهم الواقعية.

المعلم ومعرفة السمات الخلقية التي يجب عليه التحلي بها:

هل معرفة المعلم بالأخلاق تتطلب بالضـــرورة أن يســـلك ســـلوكا خلقيا؟ وهل معرفة المعلم بالسمات الخلقية للمعلمين التي وضعها الفكر التربوي الإسلامي تتطلب أن يسلك المعلم وفق هذه السمات؟ هـــذا الســـؤال موضع اختلاف بين الفلاسفة ما بين مؤيد لدور المعرفة كبداية كي يســلك الإنســان طريق الأخلاق، وما بين قائل بأن المعرفة بالأخلاق ليست شرطا كي يسلك الإنسان سلوكا خلقيا، فكثيرا ما نسلك خلاف ما نعلم.

وقديما ذهب سقراط إلى أن العلم هو أساس الفضيلة، فالإنسان يبحث عن سعادته، وبالتالي فإنه إذا علم أن الطريق الوحيد الذي يوصله إلى السعادة هو طريق الفضيلة، فإنه يسلك هذا الطريق، ومن هنا نعلم أن الإنسان لا يمكن أن يسلك سلوكا يؤدى إلى شقائه مع علمه بذلك واختياره لهذا السلوك.

أما أفلاطون فيختلف عن هذا الرأي، حيث يرى أن معرفة الفضيلة لا تكفي كي يكون المرء فاضلا، فقد يعرف ومع ذلك يسلك خلاف ما يعرف، يعرف الشر ويسلك طريقه، ويعرف الخير ولا يقوم بفعله، وإنما لابد من إيمان الفرد بالفضيلة بجانب معرفته بها، ويرى – أيضا – ضرورة إزالة العقبات التي تعترض فعل الفضيلة كالبيئة الفاسدة والقدوة السيئة، فمن الممكن أن نزاول الفضيلة دون أن نحصل أية معرفة، فالفضيلة – إذن – ليست علما.

وكي نصل إلى قول فصل في هذه المسألة، علينا أن نربطها بجوانب النفس الإنسانية، فالخلق يتعلق بأحد جوانب النفس، وهو ليس صفة للنفس جملة، فكما هو معلوم أن للنفس قوى مختلفة، تتمثل في ثلاث قوى أو ثلاثة جوانب وهي:

جانب الفعل أو المعرفة، وجانب الشعور أو العاطفة، وجانب القصد أو الإرادة، ويتعلق الخلق بالجانب الأخير من جوانب النفس، وهو جانب السلوك أو جانب القصد والإرادة.

وقد أشار أبو حيان التوحيدي إلى هذا الرأي، والخاص باشتمال الأخلاق على جانبي العلم والإرادة، حيث يرى أن الأخلاق تشمل الجانب النظري وجانب التطبيق أو الإرادة، وكلا الجانبين مكمل للآخر، حيث يلزم تعريف الإنسان، وتدريبه على التمييز بين الخير والشر، ومن هنا يظهر أهمية التعليم؛ كي يكتسب الفرد النظر والمعرفة؛ لإصلاح أخلاقه، واختيار الصالح منها، وتهذيب نفسه في ضوئها؛ حتى يظهر أثر ذلك في معاملات كل إنسان.

وقد أثبت القرآن الكريم جانب الإرادة للإنسان في اكتساب أفعاله الحسنة منها والسيئة، فقد منح الله سبحانه وتعالى الإنسان حرية الإرادة، والقدرة على الاختيار، قال تعالى: "وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (7) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (8) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا (10)" (الشمس).

" فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما إنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير والشر سواء، وأن هذه القدرة كامنة في كيانه ... فهي كامنة في صميمه، في صورة استعداد، والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية إنما توقظ هذه الاستعدادات، وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك، ولكنها لا تخلقها خلقا؛ لأنها مخلوقة فطرة، وكائنة طبعا، وكامنة إلهاما".

إذن توفر جانب الإرادة في الإنسان يعنى أنه إذا ما علم القيم الخلقية الصحيحة فإنه سوف يسلكها، ومن هنا كان قسم الله سبحانه وتعالى بالنفس اللوامة التي تلوم صاخبها إذا ما حاد عن طريق الخلق القويم، كانت بمثابة الموجه والمقوم له حتى يعود فيسلك طريق الأخلاق الذي أمر به الإسلام، فهذه النفس اللوامة تمثل جانب الإرادة في الإنسان، والتي تدفعه – دائما – إلى تحسين خلقه، وعمل الخير، يقول تعالى: " **لَا أُقْسِمُ** بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (1) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (2)" (القيامة).

مما سبق يتضح أن معرفة المعلم بالسمات الخلقية التي حددها الفكر التربوي الإسلامي، والتي أوجب على المعلمين التحلي بها، إن معرفة المعلم بهذه السمات يمكن أن تكون البداية كي يسلك وفق هذه السمات، خاصة إذا ما توفر للمعلم جانب الإرادة، والرغبة في العمل وفق هذه السمات.

فالعلم يعد المرحلة الأولى، فالإنســـان يعرف أولا المبادئ الخلقية التي يجب عليه أن يتحلى بها، بعد ذلك يكون اتجاها نحو هذه المبادئ، فهو إما يقتنع بها فيســـلك وفق ما تقتضيه هذه المبادئ، أولا يقتنع بها وبالتالي لا يسلك وفقها، ومن هنا كان لابد من وجود " اقتناع من الفرد بما يقول ويفعل ويســـلك، وترجمة الإنســـان لما يتلقى من تربية خلقية إلى ســـلوك واقعي حي، يظهر في معاملاته ". وهذا ما ينبغي أن يقوم به منهج التربية الخلقية المقدم للمعلمين، بمعنى أن يعمل هذا المنهج على إقناع المعلمين بالمبادئ الخلقية التي أمر بها الإسلام والتي نادى بها الفكر التربوي الإسلامي.

ومن هنا كانت الدعوة إلى ضرورة التشديد على الالتزام بالبناء القيمي الديني والخلقي والاجتماعي... إن المجتمع في حاجة إلى الاهتمام بإعداد المعلم حامل القيم، وتلك المهمة من أعظم مهام المعلم وأخطرها؛ حيث إننا بحاجة إلى المعلم الأخلاقي؛ المشـــبع بالقيم والمثل العليا في قوله وعمله، المعلم صاحب الضمير النقي، وبصفة عامة ينبغي على كليات التربية أن تكون منبرا لإعلاء الفضـــيلة وبناء الخلق، حتى يصـــدق قول الشاعر: إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولقد أدرك مفكرو التربية المســـلمون هذه الحقيقة المتعلقة بالوظيفة الأخلاقية للمعلم، فوجدنا هذا الإدراك ينعكس على أهداف التربية الإســـلامية التي أولت اهتماما كبيرا ببيان ما يجب أن يتحلى به المعلمون من مكارم الأخلاق ومحاسن المزايا.

والذي يطلع على ما كتبه علماء التربية المســـلمون يدرك مدى اهتمامهم بالآداب التي يجب أن يتحلى بها المعلمون، لذلك تعددت مؤلفاتهم، ما بين مؤلفات وضـــعت ككتب مســـتقلة للحديث عن آداب المعلمين، وأخرى تناولت آداب المعلم في بعض الفصـــول. فنجد – على ســـبيل المثال – ابن ســـحنون وهو من علماء القرن الثالث الهجري قد ألف رســـالة تحدث فيها عن آداب المعلمين، كذلك القابســـي وهو من علماء القرن الرابع

الهجري قد ألف رسالة تأثر فيها بابن سحنون – وإن زاد عليه – تحدث فيها عن آداب المعلمين والمتعلمين.

كذلك الغزالي (ت – 505هـ) من علماء القرن الخامس وبداية السادس، نجد أنه قد تناول بعض الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المعلمون في الإحياء، وكذلك في رسالة أيها الولد، وأجمل بعض السمات في كتابه المنقذ من الضلال. وشمس الدين محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (٧١٢ – ٧٦٣ هـ) في كتابه الآداب الشرعية، أما أكثر العلماء تفصيلا لآداب المعلمين فهو بدر الدين بن جماعة وهو من علماء القرن الثامن الهجري

لقد أفاض هؤلاء العلماء في التحدث عن آداب المعلمين، ووضعوا لهم من الصفات والآداب التي ينبغي على المعلم أن يتحلى بها، وهو ما يجعله يصل إلى مرحلة المعلم المثالي، حتى إنه من كثرة ما وضعوا له من الصفات: "ليكاد ينتمي إلى عالم غير عالمه". ومن هنا ندرك الدور العظيم الذي يؤديه المعلم في العملية التعليمية؛ فهو المسؤول عن أبناء الأمة يربيهم بالطريقة التي تريدها؛ حتى يتحملوا المسؤولية كرجال الغد، إن المعلم هو الذي يشكل مستقبل البلاد على الشكل الذي نريده.

إن عديدا من الظواهر التربوية المعاصرة يمكن أن ندرسها من خلال آراء علمائنا القدماء، ومنها موضوع آداب المعلمين لتحسين المستوى الخلقي لمعلمي اليوم، مع المواءمة بين آراء هؤلاء العلماء ومتطلبات العصر الحالي: "فحضارتنا الإسلامية عامرة بمفكرين لم يتخصصوا في التدريس والتعليم، إلا إن لهم إرشادات وتنبيهات في الإنسان والمعرفة، والمعلم والمتعلم، والدرس والتحصيل...".

ومن هنا تفيد دراسة تراثنا التربوي: " فالماضي فيه كل ما يعتز به ويفخر، وكل ما يوحى بالثقة بالنفس والاعتماد عليها، وأما الحاضر فهو الصرح الذي نقيم عليه المستقبل، ولهذا علينا أن نتبصر فيه، وأن نتفهم مشكلاتنا في أنفسنا ووجودنا، وأن يكون لنا من وعينا ما يحركنا ويدفعنا إلى الأمام".

ونظرة إلى الظروف الاجتماعية المعاصرة، نجد أن الأسرة قد ألقت بجزء كبير من وظيفتها على عاتق المدرسة، وذلك بخروج المرأة إلى العمل، واشغال الزوج بكسب العيش، الأمر الذي ألقى بالعبء الأكبر على عاتق المدرسة ممثلة في مدرسيها، فهم يتحملون الجزء الأكبر في تنشئة الأطفال خلقيا وعلميا، لذا وجب أن يتحلى المعلمون بكثير من الآداب.

لقد اهتم الفكر التربوي الإسلامي بالسمات الخلقية للمعلمين؛ انطلاقا من المهمة الأخلاقية المعلمين، التي تعد امتدادا لرسالة الأنبياء، ويرجع هذا الاهتمام إلى عدة أسباب منها:

1. إدراك الفكر التربوي الإسلامي لأهمية القدوة في العملية التعليمية.
2. اهتمام الفكر التربوي الإسلامي بالبعد الخلقي للتربية.
3. نظرة الفكر التربوي الإسلامي إلى التعليم على أنه رسالة لا وظيفة.

وقد أفاض الفكر التربوي الإسلامي في رسم شخصية المعلم، ووضع له عديدا من السمات التي يجب عليه التحلي بها مع نفسه، وفى مجلس العلم، ومع طلابه، وينعكس تمسك المعلم بهذه الآداب على المجتمع ككل.

والفكر التربوي الإسـلامي في تناوله لآداب المعلمين، إنما يسـتند إلى فلسـفة تربوية إسـلامية تدعو إلى مكارم الأخلاق، والمعلم في الإسـلام هو وسـيلة المجتمع لنشـر الأخلاق فيه، ومن هنا كان الاهتمام بالسـمات الخلقية للمعلمين؛ لأن العلاقة وثيقة بين العلم والأخلاق في الإسلام، ولا يمكن الفصل بينهما.

وكان هذا هو السـبب في أن التعليم كان:" من المجالات المهنية التي كثر فيها التأليف حول أخلاق المعلمين، وقد تكون هذه الكثرة في التأليف في موضـوع الأخلاقية المهنيـة للمعلمين تعبيرا عن زيـادة الحرص الاهتمـام بـالجـانـب الأخلاقي في عمـل المدرسين".

وتفرض علينا ظروف العصـر الذي نعيش فيه، والتي أدت إلى اهتزاز القيم وغيابها، تفرض علينا أن نهتم بموضـوع أخلاق المعلمين، سـوف يتم اسـتقصـاء هذه الآداب من خلال تحليل كتابات بعض العلماء المسـلمين الذين اهتموا بهذا الموضـوع، مثل: ابن سـحنون والقابس والغزالي وابن خلدون وابن جماعة، ابن مفلح، مع الاسـتشـهاد بآراء غيرهم من العلماء القدامى والمحدثين والربط – إن أمكن – بالآيات والأحاديث، حيث إن آراء هؤلاء العلماء مستنبطة من القرآن والسنة.

وفى تقسـيم العلماء لهذه الآداب، نجد أن بعضـهم لم يصـنفها تحت عنوان آداب المعلمين كابن خلدون، وبعضـهم جعلها عامة، وتحدث عن آداب المعلمين، مثل؛ ابن سحنون والقابسي وابن مفلح، أما الغزالي فقد اتبع الأسلوب السابق نفسه، ووضعها تحت عنوان آداب المعلمين سـواء في كتابه إحياء علوم الدين أو المنقذ من الضـلال، أما ابن جماعـة فهو أكثرهم تفصـيلا، فقد وضـع الآداب تحت عدة تقسـيمات، وهي:

أولا: آداب المعلم مع نفسه.

ثانيا: آداب المعلم مع طلبته.

ثالثا: آداب المعلم في درسه.

وهذا التقسيم الأخير هو الذي سيسير الكتاب على نهجه؛ فالمعلم ينبغي أن يتسم بأخلاق مع نفسه، وأخلاق مع العلم الذي يحمله، وأخلاق مع طلابه. ويستند علماء التربية المسلمين في حديثهم عن آداب المعلمين إلى فلسفة إسلامية واضحة تدعو إلى حسن الخلق، والمعلمون أولى الناس بالالتزام الخلقي، فعن طريقهم تكتسب أجيال المجتمع الأخلاق التي يدعو إليها الإسلام، ولعل هذا يفسر لنا هذا الربط بين حديثي الرسول – صلى الله عليه وسلم –: "إنَّما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ" وقوله: «إنما بُعثت معلِّمًا»؛ فالوظيفة الأخلاقية أكثر ارتباطا بعمل المعلم، بل هي كل عمله.

الفصل الرابع

آداب المعلم مع نفسه

تمهيد:

يعد التعليم مهنة من أشرف المهن التي يقوم بها الإنسان؛ لأنه مهنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهم الذين رسّخوا العقيدة الصحيحة، وبذلوا كثيراً من الجهد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور. كذلك تعتبر مهنة التعليم عامل أساسي في تقدم الدول وبناء المجتمعات الناجحة.

مما ينبغي على المعلم ألا يتجاهله، أن هناك آدابا علمية ينبغي عليه أن يتحلى بها؛ لكي يكون أكثر مصداقية أمام المتعلم، وكلما حرص المعلم على التأدب بهذه الآداب كان القبول أدعى له بين المتعلمين، وهذه الآداب تختص بالشخصية العامة للمعلم، وما ينبغي أن يكون عليه داخل الفصل وخارجه.

فالتعليم رسالة سامية قبل أن يكون صِنعة أو مهنة، والعلم معَ العالم مثل الطيب مع صاحب الطيب، وقد قال عليه الصلاة والسلام في صاحبِ الطيب:" فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً".

ومن هنا، يتضح أن من يرغب في التصدي لهذه المهنة والعمل بها أن يتحلى بعدة صفات وآداب تؤهله لأن يكون معلماً ناجحاً ومؤثراً في الأجيال التي تبتغيه؛ حيث إن تأثير المعلم على طلابه عظيم، وربما يفوق تأثير الوالدين؛ فالصبى يتأثر بمعلمه، بالإضافة إلى تأثره بغيره من زملائه أكثر مما يتأثر بآبائه وأهله، إن المعلم هو الذي يقدم لطلابه الغذاء العقلي والديني، وهو الذي يشكلهم وفق عادات المجتمع، كما إنهم يعتنقون آراءه، ويحملونها في أنفسهم ويصعب تحويلهم عنها.

وفيما يلي أهم الآداب التي ينبغي أن يلتزم بها المعلم مع نفسه في الفكر التربوي الإسلامي:

الأول: دوام مراقبة الله تعالى والخوف منه في السر والعلانية:

ينصـــح الفكر التربوي الإســـلامي المعلم أن يراقب الله تعالى في جميع أحواله، وأن يعمل لإرضاء الله تعالى، على خوف من الله، يبتغي رضوان الله، ويجتهد في عمله ليس لإرضـــاء عين الرقيب، إنما إرضـــاء لله تعالى، وهذا يتفق مع ما يدعو إليه الإســـلام المسـلمين بصـفة عامة، والمعلم أولى الناس باتباع هذا الأدب مع الله سـبحانه وتعالى، فيراقب الله في عملـه، الأمر الـذي يؤدى بـه إلى إجـادتـه، والقيـام بـه على أكمل وجـه وأفضل صورة.

يقول ابن جماعة موجها كلامه للمعلم بأن عليه:" دوام مراقبة الله تعالى في الســـر والعلن والمحافظة على خوفه في جميع حركاته وسـكناته وأقواله وأفعاله؛ فإنه أمين على ما أودع من العلوم، وما منح من الحواس والفهوم(مجموع الصـــفات والخصـــائص الموضـحة لمعنى كلي ويقابله الماصـدق"، ويسـتشـهد ابن جماعة بقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُـــولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ" (الأنفال27) وقوله تعالى: "بِمَا اسْـتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُـهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَـوُا النَّاسَ وَاخْشَـوْنِ" (المائدة 45). قالت امرأة للشـــعبي أيها العالم أفتنى فقال: إنما العالم من خاف الله عز وجل".

ويرتبط بهذا الأدب أن يلتزم المعلم بالسكينة والوقار والخضـوع لله تعالى، ويسـتشـهد ابن جماعة بآراء العلماء في هذا الأمر:" قال الشـافعي: ليس العلم ما حفظ العلم ما نفع، ومن ذلك دوام السـكينة والوقار والخشـوع والتواضـع لله والخضـوع. وما كتب مالك إلى الرشيد رضى الله عنهما: إذا علمت علما فليُر عليك أثره وسكينته وسمته ووفاره وحلمه".

ونصح عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – المعلم أن يلتزم الوقار والسكينة:" أخرجَ ابنُ عبد البر فِي جامِعِ بيانِ العلمِ وفضلِه، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُسْلِمٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَعَلِّمُوهُ النَّاسَ، وَتَعَلَّمُوا لَهُ الْوَقَارَ وَالسَّكِينَةَ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمْتُمْ مِنْهُ وَلِمَنْ عَلَّمْتُمُوهُ، وَلَا تَكُونُوا جَبَابِرَةَ الْعُلَمَاءِ، فَلَا يُقَوَّمُ جَهْلُكُمْ بِعِلْمِكُمْ"، وأخرجَ أيضًا عنِ ابْنِ وَهْبٍ قالَ، سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: "إِنَّ حَقًّا عَلَى مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَخَشْيَةٌ وَأَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِآثَارِ مَنْ مَضَى قَبْلَهُ ".

ولا شك أن في التزام المعلم بسمة الوقار أدعى إلى حسن التأثير في طلابه، كما إنها أدعى إلى احتفاظ المعلم بمكانته بين طلاب.

الثاني: أن يصون العلم كما صانه السابقون ويقوم له بما جعله الله له من العزة والشرف:

لقد أعلى الإسلام من شأن العلم والعلماء، وجعل الله العلماء هم أكثر الناس معرفة به سبحانه وتعالى، كما إن السنة النبوية المطهرة بينت فضل العلماء ومنزلتهم وأنهم ورثة الأنبياء، وفى صلاحهم صلاح للأمة، وفى فسادهم فساد لها، ومن هنا ندرك قيمة العلم وعظم منزلته، ولذلك حافظ عليه السابقون من العلماء المسلمين، ومن هنا كان نصح الفكر التربوي الإسلامي بضرورة صيانة العلم.

وقْ أشار ابن مفلح – رحمه الله – إلى أنّ الإكثارَ مِن المُزاح ليست طريقةً حسنةً بالمعلّم، فنقلَ عن ابن الجوزي في صيد الخاطر أنّه قال: "وَإِذَا رَأَى الْعَوَامُّ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ مُتَرَخِّصًا فِي أَمْرٍ هَانَ عِنْدَهُمْ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْهِ صِيَانَةُ عِلْمِهِ وَإِقَامَةُ قَدْرِ الْعِلْمِ عِنْدَهُمْ فَقَدْ قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ كُنَّا نَمْزَحُ وَنَضْحَكُ فَإِذَا صِرْنَا يُقْتَدَى بِنَا فَمَا أُرَاهُ يَسَعُنَا".

ويوجه ابن جماعة النصـح للمعلم بأن عليه صـيانة العلم، كما صـانه السـابقون من علماء السلف؛ حتى يحافظ على ما جعله الله للعلم من العزة والشرف، فلا يذل العلم بأن يذهب به إلى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضـــرورة أو حاجة، حتى وإن علت مكانته؛ فالعلم – على حد تعبير الزهري – هوان به أن يحمله المعلم إلى بيت المتعلم.

ويحـدد المغراوي بعض الأمور التي يمكن أن يحفظ بهـا المعلم مروءتـه، وبـالتـالي يصـون العلم فلا يذله، ولا يعرضـه للمهانة، ومن هذه الأمور:" لا يقف المواقف المبتذلة والمهينة فلا يحضـر مأدبة دون اسـتدعاء، ولا يصـحب معه غيره للمآدب دون اسـتئذان الداعي، ولا يطعم غيره على حســاب الآخرين". ومما يمكن أن يصـــون المعلم به العلم محافظته على مواعيد درسـه:" فلا ينبغي له إخلاف موعده، إلا أن يقتطعه عن ذلك أمر يقوم عذر به".

ولكن ابن جمـاعـة يحـدد بعض الأمور التي ينبغي فيهـا أن يحمـل المعلم العلم إلى منزل المتعلم " فإن دعت الحاجة إلى ذلك، أو ضرورة، أو اقتضته مصلحة دينية راجحة على مفسدة، وحسنت فيه نية صـالحة، فلا بأس به إن شاء الله تعالى، وعلى هذا يحمل ما جاء عن بعض أئمة السـلف من المشـي إلى الملوك وولاة الأمر كالزهري والشـافعي وغيرهما لا على أنهم قصدوا بذلك فضول الأغراض الدنيوية".

الثالثة: أن يتخلق بالزهد في الدنيا والتقليل منها بقدر الإمكان الذي لا يضر بنفسه أو بعياله:

يأمر الفكر التربوي الإسـلامي المعلم أن يتخلق بالزهد، فلا يشـغل نفسـه بأمور الدنيا، ويزهد عما في أيدي الناس، يقول ابن جماعة على المعلم:" أن يتخلق بالزهد في الدنيا والتقليل منها بقدر الإمكان الذي لا يضر بنفسه أو بعياله، فإن ما يحتاج إليه لذلك على الوجه المعتدل من القناعة ليس يعد من الدنيا، وأقل درجات العالم أن يســـتقذر التعلق

بالدنيا؛ لأنه أعلم الناس بخسـتها وفتنتها وسـرعة زوالها وكثرة تعبها ونصـبها، فهو أحق بعدم الالتفات إليها والاشتغال بهمومها".

ويستند ابن جماعة في حديثه عن أهمية الزهد بالنسبة للمعلم إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وآراء علماء السلف، يقول تعالى:" إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِـيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (يونس 24)".

وقد اهتمت السنة النبوية المطهرة بصفة الزهد وضرورة التمسك به كقيمة عظمى في حياة الفرد والجماعة:" عن أبى العباس سهل بن سعد الساعدي – رضى الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي – صـلى الله عليه وسـلم – فقال: يا رسـول الله دُلّنى على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس، فقال: "ازهد في الدنيا يحبّك الله، وازهد فيما عند الناس يحبّك الناس".

فالمعلّم المسلِم، قُدوتُهُ الأُولى هوَ المعلّمُ الأوّلُ نبيُّنا محمدٌ صـلى الله عليه وسلّم، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: نَامَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ عَلَى حَصِـيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُـولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: "مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا".

وحقيقةُ الزُّهد فيها وعلامتُه، ينقُلُها لنا الإمامُ ابن مفلح – رحمه الله – فيقول: "رَوَى الْخَلَّالُ عَنْ الْفَضْـــيلِ قَالَ عَلَامَةُ الزُّهْدِ فِي النَّاسِ إذَا لَمْ يُحِبَّ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِ وَلَمْ يُبَالِ بِمَذَمَّتِهِمْ، وَإِنْ قَدَرْت أَنْ لَا تُعْرَفَ فَافْعَلْ وَمَا عَلَيْك أَلَّا يُثْنَى عَلَيْك وَمَا عَلَيْك أَنْ تَكُونَ مَذْمُومًا عِنْدَ النَّاسِ إذَا كُنْت مَحْمُودًا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُذْكَرَ لَمْ يُذْكَرْ،

ومن كره أن يُذكر ذُكر"، ويؤكِّدُ الإمامُ ابنُ مُفلحٍ – رحمه الله – هذه الصِّـــفة بكونِها مِن صِفات المعلّمِ المسلم فيقول: "وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ حَدَّثَنِي أَبِي سَمِعْت سُفْيَانَ يَقُولُ مَا ازْدَادَ رَجُلٌ عِلْمًا فَازْدَادَ مِنْ الدُّنْيَا قُرْبًا إلَّا ازْدَادَ مِنْ اللَّهِ بُعْدًا"، فينبغي على المعلّمِ المسـلم أن يزهدَ في هذه الدُّنيا، كما كان رسول اللهِ صلّى الله عليه وسلّم يفعل.

إن ســمة الزهد ضــرورية للمســلمين عامة، وأن أحق الناس بهذه الســمة العلماء، واتصاف المعلم بهذه السمة أدعى إلى التفاف الجميع حوله، ومن هنا كان التأكيد عليها، " قال يحيى بن معاذ لو كانت الدنيا تبراً يفنى والآخرة خزفا يبقى لكان ينبغي للعاقل إيثار الخزف الباقي على التبر الفاني فكيف والدنيا خزف والآخرة تبر باق".

الرابع: أن ينزه علمه عن جعله سلما يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية:

يأمر الإســلام بأن يكون علم العلماء خالصــا لله؛ بمعنى أن تكون نيته لله تعالى لا يبغى من وراء العلم مالا ولا شــهرة ولا منصــبا، قال تعالى:" وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِــينَ لَهُ الدين" (البينة 5) ، وعن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول:" إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى فمن كانت هجرتُهُ إلى اللَّهِ ورســولِهِ فَهجرتُهُ إلى اللَّهِ ورسولِهِ ومن كانت هجرتُهُ إلى دنيا يصيبُها أو امرأةٍ ينْكحُها فَهجرتُهُ إلى ما هاجرَ إليْهِ"

وقد أدرك الفكر الإسـلامي هذه الحقيقة، لذلك نصـح ابن جماعة المعلم ألا يكون كل همه في طلب العلم التوصــل إلى الأغراض الدنيوية، وإنما عليه أن يوجه نيته لله – تعالى – ولا يطلب بعلمه أية منفعة دنيوية، من جاه أو مال أو سمعة أو شـهرة أو تفوق على أقرانه من المعلمين، وله في علماء السـلف الأسـوة الحسـنة، حيث يشـير الإمام الغزالي إلى رغبته في أن يتعلم الخلق علمه دون أن ينســب إليه شــيء منه، كما يوجه

الفكر الإســـلامي نظر المعلم إلى تنزيه علمه عن الطمع، فلا يطلب من طلابه مالا أو خدمة مقابل ترددهم عليه.

وقد حذر النبي – صـــلى الله عليه وســـلم – من يطلب الدنيا بعلمه بقوله:" مَنْ تعلَّم علْمًا ممَّا يُبْتَغى به وَجْهُ الله عز وجل لا يَتَعلَّمُه إلا لِيُصِيبَ به عَرَضًا من الدنيا، لمْ يَجِدْ عَرْفَ الجنة يومَ القيامة".

ويعلق ابن عبد البر على هذا الحديث بقوله عن العالم الذي يفعل ذلك بأنه:" أشـــد الناس حســـرة يوم القيامة؛ حيث كان معه آلة يتوصـــل بها إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات فلم يستعملها إلا في التوصل إلى أخس الأمور وأدناها وأحقرها، فهو كمن كان معه جواهر نفيسـة لها قيمة فباعها ببعرة أو شـيء مسـتقذر، لا لينتفع به فهذا حال من يطلب الدنيا بعلمه".

يقول ابن مفلح – رحمه الله –:" وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ: وَمِنْ صِـــفَاتِ عُلَمَاءِ الْآخِرَةِ أَنْ يَكُونُوا مُنْقَبِضِـينَ عَنْ السَّـلَاطِينِ، مُحْتَرِزِينَ عَنْ مُخَالَطَتِهِمْ"، وقال ابن مفلح – رحمه الله –:"كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ – رَحِمَهُ اللَّهُ – لَا يَأْتِي الْخُلَفَاءَ وَلَا الْوُلَاةَ وَالْأُمَرَاءَ وَيَمْتَنِعُ مِنْ الْكِتَابَةِ إلَيْهِمْ، وَيَنْهَى أَصْحَابَهُ عَنْ ذَلِكَ مُطْلَقًا نَقَلَهُ عَنْهُ جَمَاعَةٌ، وَكَلَامُهُ فِيهِ مَشْهُورٌ".

الخامس: أن يتنزه عن دنى المكاسب، ويتجنب مواضع التهم:

لقد وضــع الإسـلام المعلم في منزلة عظيمة، وأمره أن يحافظ على تلك المكانة، ومن هنا كان نصـح ابن جماعة المعلمين أن يبتعدوا عن المهن التي تسيئ إليهم ولا تتفق مع مكانتهم محددا بعض المهن التي كانت شائعة في عصره، يقول ابن جماعة ناصحـــــا المعلم: " أن يتنزه عن دني المكاسب ورذيلها طبعا وعن مكروهها عادة وشرعا، كالحجامة والدباغة والصرف والصياغة".

ويرتبط بحفاظ المعلم على مكانته أن يشعر أنه موضع نقد، وأن تصرفاته محسوبة عليه، لذلك يجب عليه أن يتجنب المواقف التي تجعله موضعا للتهم، حتى وإن كانت بعيدة، ولا يسلك سلوكا ينقص من مروءته، أو سلوكا يستنكر ظاهرا، حتى وإن كان جائزا باطنا؛ لأنه بذلك يعرض نفسه للتهمة، الأمر الذي يوقع الناس في الظنون المكروهة، فإن وقع شيء من هذا، فعليه أن يخبر الشاهد بعذره أو مقصود الفعل؛ حتى لا يأثم بسببه، وينفر من المعلم، وبالتالي لا ينتفع بعلمه.

وينقل ابن جماعة موقفا للرسول – صلى الله عليه وسلم – يطبق فيه هذا المبدأ:" عن صفية بنت حيي – رضي الله عنها – قالت: كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معتكفًا، فأتيته أزوره ليلًا، فحدَّثته، ثم قمتُ لأنقلب، فقام معي ليقلبني (بفتح أوله؛ أي: يردها إلى منزلها)، وكان مسكنها في بيت أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأَيَا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرَعا في المشي، فقال: "على رِسلكما إنما هي صفية بنت حيي"، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، فقال: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خفتُ أن يقذف في قلوبكما شرًّا، أو قال: شيئًا".

ويستند الفكر التربوي الإسلامي في ذلك إلى الحديث النبوي الذى يدعو إلى أن يستبرأ المرء لدينه وعرضه، "عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ – وأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ –: إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، والْحَرَامَ بَيِّنٌ، وبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وعِرْضِهِ، ومَنْ وقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وهِيَ الْقَلْبُ."

السادس: أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام:

المعلم في الإسلام قدوة تتجسد في سلوكه كل القيم التي دعا إليها الإسلام، ومن هنا أمر أن يحافظ على شعائر الإسلام؛ حتى يكون قدوة لطلابه في ذلك، لذلك يوجه الفكر الإسلامي نظر المعلم إلى ضرورة المحافظة على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام، كإقامة الصلاة في المساجد، وإفشاء السلام للخواص والعوام، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصبر على الأذى بسبب ذلك، وعليه أن يصدع بالحق عند السلاطين، وأن يبذل نفسه لله لا يخاف في ذلك لومة لائم ويستدل ابن جماعة على هذا المعنى بقوله تعالى:" **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأمور**" (لقمان 17).

لقد فضل الله الأمة الإسلامية وجعلها خير أمة أخرجت للناس؛ نظرا لاتصافها بصفات لم تكن لغيرها من الأمم، والمعلم باعتباره القائم على نشر الفضائل في المجتمع، كان من الواجب عليه اتصافه بالقيم الإسلامية، قال تعالى:" **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**". (آل عمران110)

بعد ذلك يؤكد ابن جماعة على أن محافظة المعلم على الآداب الإسلامية يعد مطلبا مهما؛ نظرا لأن الطلاب ينظرون إلى سلوك المعلم على أنه النموذج الذي يجب أن يحتذى به: " فإن العلماء هم القدوة وإليهم المرجع في الأحكام وهم حجة الله – تعالى– على العوام، وقد يراقبهم للأخذ عنهم من لا ينظرون، ويقتدى بهديهم من لا يعلمون، وإذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به".

فالمطلوب من المعلم لا أن يحمل العلم ويتقنه، وإنما المطلوب أن يكون لهذا العلم الأثر الظاهر في سلوكه، ولا شك أن ذلك أدعى إلى التأثير القوى والفعال في نفس المتعلم، يقول الإمام الشافعي في هذا المعنى:" ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع. ولهذا عظمت زلة العالم؛ لما يترتب عليها من المفاسد لاقتداء الناس به". كذلك كان على المعلم أن يحفظ سلوكه وتصرفاته، ويوقن بأن طلابه يقلدونه في هذه السلوكيات.

السابع: أن يحافظ على المندوبات الشرعية القولية والفعلية:

ويرتبط بالأدب السابق والخاص بالمحافظة على الفرائض، هذا الأدب وهو خاص بالمحافظة على المندوبات الشرعية، والفعل المندوب هو الفعل الذي يطلبه الشارع من المكلف بصيغة لا تدل على الوجوب، ولكنه طلب غير حتم، وبالتالي فإن الفعل المندوب لا يستحق تاركه العقوبة وقد يستحق العتاب.

ويوجه ابن جماعة نظر المعلم بأن عليه المحافظة على الأفعال المندوبة شرعا، سواء القولية منها أو الفعلية، مثل ملازمة تلاوة القرآن الكريم، وذكر الله تعالى بالقلب واللسان، وما ورد من الدعوات والأذكار في الليل والنهار، ومن نوافل العبادات كالصلاة والصيام والحج، والصلاة على النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ لأن محبته وإجلاله وتعظيمه واجبة، كما إن الأدب عند سماع اسمه وذكر سنته مطلوب وسنة.

وهناك عديد من المواقف العملية التي وردت عن علماء السلف عند ذكر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أمامهم، والتي تبين تعظيمهم للرسول – صلى الله عليه وسلم –: " كان مالك – رضى الله تعالى عنه – إذا ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – يتغير لونه وينحني. وكان جعفر بن محمد إذا ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – عنده اصفر لونه. وكان ابن القاسم إذا ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – يجف لسانه في فيه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم".

ولم يكتف الفكر التربوي الإسـلامي – فقط – بنصـح المعلم بتلاوة القرآن، بل يطلب منه أن يتفكر في معانيه؛ اسـتنادا إلى عدد من الآيات والأحاديث التي تدعو إلى ذلك، يقول ابن جماعة:" وينبغي له إذا تلا القرآن أن يتفكر في معانيه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده، والوقوف عند حدوده، وليحذر من نسـيانه بعد حفظه، والأولى أن يكون له منه في كل يوم ورد راتب لا يخل به".

الثامن: معاملة الناس بمكارم الأخلاق:

وَقَدْ نَدَبَ رَسَـولُ الله– صـلى الله عليه وسـلم – أمته إلى مَكَارِمِ الأخلَاقِ, وَأخْبَرَ أنَّ الأَخلَاقَ الحَسَنَةَ هِيَ مِنْ تَمامِ إيمانِ العَبدِ وَكَمَالِهِ، فَقَالَ عَليهِ الصَّـلاةُ وَالسَّـلامُ:" عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَـنُهُمْ خُلُقًا"، وَإذا أرادَ العبدُ أنْ يصِـلَ إلى هَذِهِ الدَّرَجَةِ العَالِيةِ وَهيَ كَمَالُ الإيمَانِ, فَعَليهِ أنْ يجتهدَ وَيصـرفَ هِمَّتهُ في اكتِسـابِ كلِّ خُلُقٍ كَرِيمٍ, وَأَن يبتعِد عَن كُلِّ خُلُقٍ سَـيّءٍ مَكروهٍ، وَعلَيهِ في ذَلِكَ أنْ يقتّديَ بِرسـولِ اللهِ صـلَّى اللهُ عليهِ وَسـلَّمَ، فَقَدْ كانَ مِنْ أحسـنِ النَّاسِ خُلُقًا, وَأتقَاهُم لله وَأعلَمُهُم بِهِ، وقدْ مدَحَ اللهُ نبيّهُ الكريمَ فِي كِتابِهِ فقالَ فِي مُحكمِ التنزيلِ: "وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ" (القلم 4).

لقد حدد الرسـول – صـلى الله عليه وسـلم – الغاية من الرسـالة، وهي إتمام مكارم الأخلاق، ومن هنا كانت سـيرته وسـيرة الصـحابة تسـير وفق هذه القاعدة العامة التي تحكم المجتمع بمكارم الخلاق، سـواء بين المسـلمين بعضـهم بعضـا، أو بين المسـلمين وغير المسلمين.

والمعلم في حاجة إلى سـيرة النبي – صـلى الله عليه وسـلم –؛ ليعرف كيف كان يتعامل مع غيره: " عن أنس – رضـي الله عنه – قال: ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين مِن كفِّ رسول الله صـلى الله عليه وسلم، ولا شممت رائحة قط أطيبَ من رائحة رسول الله صـلى الله عليه وسلم، ولقد خدمتُ رسول الله صـلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلتُه: لِمَ فعلتَه؟ ولا لشيءٍ لم أفعله: ألا فعلتَ كذا؟"

لا يقتصـر واجب المعلم على تعامله مع طلابه داخل المدرسـة، ولكنه يعيش في مجتمع يجب عليه التعامل معه والتأثير فيه، لذلك يحاول الفكر التربوي الإسـلامي أن يربط المعلم بمجتمعه، ويحثه على أن يتحرى مكارم الأخلاق في تعامله مع الناس المحيطين به، وهو في ذلك يستند إلى عديد من القيم الخلقية التي دعا إليها الإسـلام، بحيث تكون أساس التعامل بين المسلمين.

يقول ابن جماعة في هذا المعنى محددا واجب المعلم في، مجتمعه بأن يعامل الناس بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه، وإفشـاء السـلام وإطعام الطعام، وكظم الغيظ، وكف الأذى عن الناس، واحتماله منهم والإيثار، وترك الاسـتئثار، والإنصـاف، وترك الاستنصاف، وشكر التفضل، وإيجاد الراحة، والسعي في قضاء الحاجات في الشفاعات، والتلطف بالفقراء، والتحبب إلى الجيران والأقرباء، والرفق بالطلبة، وإعانتهم وبرهم، وإذا رأى من لا يقيم صـلاته أو طهارته أو شـيئا من الواجبات، عليه إرشـاده بتلطف ورفق، كما فعل النبي – صلى الله عليه وسلم – مع الأعرابي الذى بال في المسجد.

التاسع: أن يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة ويعمره بالأخلاق المرضية:

لقد أجمل القرآن الكريم الأخلاق الكريمة ودعا إلى اتباعها والالتزام بها، وحدد الأخلاق الرديئة ونهى عنها وكذلك فعلت السـنة، يقول تعالى:" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ"

(النحل90). " وعن النَّوَّاسِ بنِ سمعانَ – رضي الله عنه – قَالَ: سأَلتُ رسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – عنِ البِرِّ والإِثمِ فقالَ: البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، والإِثمُ: مَا حاكَ فِي نَفْسِكَ، وكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلعَ عَلَيْهِ النَّاسُ".

لقد أدرك الفكر التربوي الإسلامي هذه القيم الإسلامية الأصيلة، ونادى بأن يلتزم بها المعلمون؛ لأنهم القائمون بتكوين الأخلاق في نفس النشء، ومن هنا كانت دعوة الفكر التربوي الإسلامي المعلمين بأن يطهروا أنفسهم من الأخلاق الرديئة، وأن يلتزموا بالأخلاق المرضية.

و التلاميذُ يتعلّمونَ مِنْ مُعلِّمهم الأخلاق قبلَ العِلم، لِذا كان لِزامًا على المعلِّم أنْ يكونَ مُربيًّا قبلَ أنْ يكونَ معلِّمًا، وكيفَ يتعلّمُ التلميذُ مِن مُعلِّمٍ اِشتهرَ بينَ النّاسِ بالفِسْقِ والرّذيلَةِ، وكيفَ يتربّى على الأخلاقِ الفاضِلةِ مَنْ يَرى مُعلِّمهُ صَاحِب فِسقٍ وقلّةِ دِيانَةٍ، قَالَ ابنُ مُفلحٍ – رحمه الله –:"وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى يُتْرَكُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ قَالَ إذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ قُلْنَا وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا قَالَ الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ وَالْعِلْمُ فِي رَذَالَتِكُمْ"، قَالَ زَيْدٌ تَفْسِيره إذَا كَانَ الْعِلْم فِي".

يقول ابن جماعة ناصحا المعلم بتطهير باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة، ويعمره بالأخلاق المرضية، فمن الأخلاق الرديئة: الغل، والحسد، والبغي، والغضب لغير الله، والغش، والكبر، والرئاء، والعجب، والسمعة، والبخل، والخبث، والبطر، والطمع، والفخر، والخيلاء، والتنافس في الدنيا، والمباهاة بها، والمداهنة، والتزين للناس، وحب المدح بما لم يفعل، والعمى عن عيوب النفس، والاشتغال عنها بعيوب الخلق، والحمية، والعصبية لغير الله، والرغبة والرهبة لغير الله، والغيبة، والنميمة، والبهتان، والكذب، والفحش في

القول، واحتقار الناس ولو كانوا دونه، فعلى المعلم الحذر من هذه الصـــفات الخبيثة والأخلاق الرذيلة.

وحدد ابن جماعة طرق الخلاص من بعض هذه الأمراض الاجتماعية، ثم يحدد الأخلاق المرضية، مثل: دوام التوبة، والإخلاص، واليقين، والتقوى، والصبر، والرضا، والقناعة: والزهد، والتوكل، والتفويض، وسلامة الباطن، وحسن الظن، والتجاوز، وحسن الخلق، ورؤية الإحسان، وشكر النعمة، والشفقة على خلق الله، والحياء من الله – تعالى – ومن الناس، ومحبة الله – تعالى – هي الخصلة الجامعة لمحاسن الصفات كلها. لا شك في أن تمسك المعلم بمثل هذه الصفات يعد أساسا في نشر الفضيلة في المجتمع.

العاشر: المواظبة على الازدياد من العلم والمحافظة على الأوقات:

ينصح الفكر التربوي الإسلامي المعلم ألا يضيع أوقات عمره في غير فائدة، بل يجب عليه أن يلازم الجد في تحصيل العلم وتدريسه في جميع الأوقات، لذا فهو يدعو – دائما – بقوله تعالى:" وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (طه114). وهو على يقين بأنه سيسأل عن عمره فيما أفناه، كما نص على ذلك الحديث الشريف.

وإذا أرادَ المعلِّمُ الازدياد من العِلم، والتمكُّنَ فيه، فَينبَغِي لهُ أنْ يحفظَ وقتهُ ولا يُكثِرَ مِن مُخالطةِ النّاس، فيضـــيعَ الزَّمانُ بينَ القِيلِ والقَال، كيفَ وقدْ جاء الخبرُ عن النبيّ – صلى اللهُ عليه وسلّم – بالمُحافظةِ على الوقتِ وأنّهُ مِن أعزِّ ما يملِكُ الإنسانُ في هذه الحياةِ، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ" ، يقولُ الإمامُ ابنُ مُفلحٍ ناقِلًا أهميّة العُزلةِ للعالِم: "وَقَالَ أَبُو الْفَرَجِ فِي أَوَائِلِ صَيْدِ الْخَاطِرِ مَا أَعْرِفُ لِلْعَالِمِ قَطُّ لَذَّةً وَلَا عِزًّا وَلَا شَرَفًا

وَلَا رَاحَةً وَسَـلَامَةً أَفْضَـلَ مِنْ الْعُزْلَةِ فَإِنَّهُ يَنَالُ بِهَا سَـلَامَةَ بَدَنِهِ وَدِينِهِ وَجَاهِهِ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِنْدَ الْخَلْقِ".

لذلك ينصـــح ابن جماعة المعلم بضـــرورة الحرص على المداومة على الازدياد من العلم، وأن يلازم الجد والاجتهاد في طلبه، كما يجب عليه أن يحافظ على أوراد العبادة، والاشـتغال بالقراءة والإقراء والفكر والتعليق والحفظ والبحث والتصـنيف، وأن يحافظ على أوقات عمره، فلا يضيع شيئا منها في غير العلم والعمل إلا بقدر الضرورة.

فيجبُ أنْ يكونَ المعلّمُ واسِعَ الاطلاع، شغُوفًا بالقِراءةِ، مُهتمًّا بالعِلمِ مُحبًّا لهُ؛ لأنّ هذا العِلم، هوَ ما يبقى للإنســـانِ بعدَ موتِهِ، فعن أبي هريرةَ – رضـــي– اللهُ عنهُ قَالَ: قالَ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم –:"إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملُهُ إلّا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أوْ علمٍ يُنتفعُ بهِ، أوْ وَلدٍ صَـــالحٍ يدْعُو له" ، يُشـــيرُ إلى ذلك الإمام ابن مُفلح – رحمه الله – فيقول: "قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: مَا يَتَنَاهَى فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إلَّا عَاشِـــقٌ، وَالْعَاشِـــقُ يَنْبَغِي أَنْ يَصْـبِرَ عَلَى الْمَكَارِهِ" ، وقال في موضِـعٍ آخر وهو ينقل عن الإمام ابن الجوزي قوله: "وَقَالَ أَيْضًـا فِي كِتَابِهِ السِّرُّ الْمَصُونُ: مِثْلُ الْمُحِبِّ لِلْعِلْمِ مِثْلُ الْعَاشِقِ، فَإِنَّ الْعَاشِقَ يَهْتَمُّ بِمَعْشُوقِهِ، وَيَهِيمُ بِهِ، وَكَذَلِكَ الْمُحِبُّ لِلْعِلْمِ".

والسـيرة الذاتية لعلماء المسـلمين تبين التزامهم بهذا الأدب، فهم يسـتغلون كل أوقاتهم في تحصـيل العلم وتدريسه، ويدل على ذلك هذا التراث العلمي الهائل الذي خلفه العلماء المسـلمون في جميع المجالات الإنسـانية منها والطبيعية. ومعلم اليوم – في ظل مجتمع متغير وكم معرفي هائل ودائم التجدد والتزايد – في حاجة إلى استغلال وقته؛ لمعرفة كل ما هو جديد في ميدان عمله، والاطلاع عليه، والازدياد منه.

وكان الشـــافعي ينصـــح طلابه بقوله:" حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله – تعالى – في إدراك علمه نصا واستنباطا، والرغبة إلى الله – تعالى – في العون عليه. وقال الربيع لم أر الشافعي – رضى الله عنه – آكلا بنهار ولا نائما بليل لاشتغاله بالتصنيف". ومن هنا كان اشـــتغال هؤلاء العلماء بالكتابة، وقد وردت عديد من النصـــائح من العلماء بضـــرورة تقييد العلم بالكتابة، منها عن ابن عباس – رضـــى الله عنهما –:" قيدوا العلم بالكتاب". لذلك يجب على معلم اليوم أن يتخذ لنفسـه سـجلا يدون فيه كل معلومة يطلع عليها، ويمكن أن تفيده.

الحادي عشر: أن يستفيد ممن هو أصغر منه منصبا أو نسبا أو سنا:

المعلم في الإسـلام شـخص متواضـع، لا يرى نفسـه عالما بكل شـيء، ولكنه دائم الحاجة والرغبة في الازدياد من العلم، وفى سعيه هذا لزيادة علمه يستفيد من غيره حتى وإن كان أقل منه في المنزلة، فهو يدرك تمام الإدراك قوله تعالى:" **وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**" (يوسـف 76) وقوله تعالى:" **ويسـألونك عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**" (الإسراء – 85).

ومن هنا كان توجيه الفكر التربوي الإسـلامي للمعلم أن يكون متواضـعا، فلا يسـتكبر أن يسـتفيد مالا يعلمه ممن دونه في السـن أو المنصـب أو النسـب، وإنما لابد أن يكون هدفه في تحصـيل الفائدة من أى مصـدر، فالحكمة ضـالة المؤمن وهو أحق بها أينما يجدها.

قال الحميدي وهو تلميذ الشافعي: صحبت الشافعي من مكة إلى مصر، فكنت أستفيد منه المسـائل، وكان يسـتفيد مني الحديث. وقال أحمد بن حنبل، قال لنا الشـافعي: أنتم أعلم بالحديث مني، فإذا صـح عندكم الحديث فقولوا لنا حتى نأخذ به. وصـحت رواية

جماعة من الصحابة عن التابعين. وأبلغ من ذلك كله، قراءة رسول الله – صلى الله عليه وسلم على أبي وقال: أمرني الله أن أقرا عليك لم يكن الذين كفروا. قالوا: من فوائده ألا يمتنع الفاضل من الأخذ عن المفضول.

وينقل ابن جماعة تطبيق بعض علماء السلف لهذه القيمة: " قال سعيد بن جبير لا يزال الرجل– عالما ما تعلم، فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون. وينقل عن بعض العرب:

وليس العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت على الجهل.

قال الحميدي – وهو تلميذ الشافعي – صحبت الشافعي من مكة إلى مصر فكنت أستفيد منه المسائل، وكان يستفيد منى الحديث. وقال أحمد بن حنبل قال لنا الشافعي: أنتم أعلم بالحديث منى، فإذا صح عندكم الحديث فقولوا لنا حتى آخذ به".

وينقل ابن عبد البر تطبيق الصحابة لهذه القاعدة:" عن حجاج بن عمرو بن غزية أنه كان جالسا عند زيد بن ثابت – رضي الله عنه – فجاءه ابن فهد رجل من اليمن فقال يا أبا سعيد، إن عندي جواري ليس نسائي اللائي أكن بأعجب إلىّ منهن، وليس كلهن يعجبني أن تحمل منى أفأعزل؟ فقال زيد أفته يا حجاج قال: قلت: غفر الله لك إنما نجلس إليك لنتعلم منك. فقال: أفته: قال: قلت: هو حرثك إن شئت سقيته وإن شئت عطشته، وكنت أسمع ذلك من زيد بن ثابت، فقال زيد: صدق".

فالمعلم في حاجة إلى الاقتداء بسيرة هؤلاء العلماء الأفاضل عند سعيه في طلب العلم وتحصيله. وفى قصة عمر بن الخطاب مع عبد الله بن عباس خير مثال على ذلك – أيضا – عندما يقربه منه برغم صغر سنه؛ وذلك لسعة علمه.

الثاني عشر: الاشتغال بالتصنيف والجمع والتأليف:

يوجه هذا الأدب المعلمين إلى الاشـتغال بالتصـنيف والجمع والتأليف، لكن مع تمام الفضـيلة وكمال الأهلية فإنه يطلع على حقائق الفنون ودقائق العلوم للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتنقيب والمراجعة، وهو كما قال الخطيب البغدادي: يثبت الحفظ، ويذكي القلب، ويشحذ الطبع، ويجيد البيان، وبكسب جميل الذكر وجزيل الأجر، ويخلده إلى آخر الدهر، كما قيل: يموَت قوم فيحيى العلم ذكرهم ... والجهل يلحق أمواتاً بأموات.

قال الشـافعي رحمه الله: حق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاسـتكثار من العلم، والصـبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في إدراك علمه نصـاً واسـتنباطاً، والرغبة إلى الله تعالى في العون عليه. وقال الربيع: لم أر الشـافعي آكلاً بنهار ولا نائماً بليل لاشتغاله بالتصنيف، ومع ذلك فلا يحمل نفسه من ذلك فوق طاقتها كيلا تسأم ويمل، فربما نفرت نفرة لا يمكنه تداركها، بل يكون أمره في ذلك قصداً، وكل إنسان أبصر بنفسه.

لقد طبق العلماء المسـلمون هذا الأمر جيدا، يشـهد بذلك هذا التراث العلمي الهائل الذي خلفوه في جميع المجالات العلمية والأدبية، فالعلم لا يقف عند حد معين، وإنما هناك الجديد الذي يتم اكتشافه في كل لحظة خاصة في العصر الحديث، وهذا يوجب على المعلم أن يكون دائم الاطلاع والبحث والتأليف.

وهذا ما وجه الفكر التربوي الإسلامي نظر المعلم إليه؛ بضرورة أن يوجه اهتمامه إلى الاطلاع والجمع والتأليف في ميدان تخصـصـه، بشـرط أن يكون أهلا لهذا التأليف، والمعلم في التزام بهذا الأمر إنما يطلع على دقائق العلوم التي تحتاج إلى كثرة المطالعة

والتنقيب والمراجعة، وهذا أدعى إلى تثبيت الحفظ، وذكاء القلب، وشـــحذ الطبع، وإجادة البيان، ومضاعفة الأجر، وتخليد الذكر إلى آخر الدهر.

والمعلم في اهتمامه بالكتابة والتصنيف متبع لسيرة الصحابة والعلماء: "عن وهب بن مُنّبه عن أخيه قال سمعت أبا هريرة يقول: ما من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – أحد أكثر حديثا عنه منى، إلا ما كان من عبد الله بن عمر فإنه كان يكتب ولا أكتب".

ثم يبين ابن جماعة أن غاية التأليف أن تتم الفائدة، لذلك كان على المعلم أن يكثر التأليف والكتابة في المجال الذي تكثر الحاجة إليه، وعليه أن يعتنى بالمجال الجديد الذي لم يسبق إليه، بشرط أن يكون التأليف بعيدا عن التطويل الممل أو الإيجاز المخل، وألا يقدم مُصنفه للآخرين إلا بعد تهذيبه وتكرار النظر فيه وترتيبه.

ولا شـــك أن هذا الكلام يمكن أن يكون القاعدة التي يتم على أســـاســـها التأليف في مجالات معينة، بحيث يكون الكتاب يحوي موضـــوعا جديدا، ذا فائدة للمجتمع، وبحيث يكون الكتاب ذا مواصـفات تسـتثير رغبة القارئ في اقتناء الكتاب وقراءته، وهذا يتطلب أن يكون الكتاب متوسطا؛ لا طويلا فيمل القارئ منه، ولا مختصرا بحيث تقل فائدته.

الفصل الخامس

آداب العالم مع الطلبة

تمهيد:

المعلم هو القدوة والمربي، وبقدر ما يبذله من جهد ونشاط في الإعداد للدرس، واختيار الطرق المناسبة للعرض، وتعرّفه على سمات الطلاب، وتعامله الجيد مع الفروق الفردية بين المتعلمين، كل ما سبق يحتاج من المعلم أن يبذل أقصى ما لديهِ من جهد وطاقة في تعليم التلاميذ.

والعلماء هم ورثةُ الأنبياء، والأنبياءُ لم يورِّثوا دينارًا ولا دِرهمًا وإنّما ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافِر، وورثةُ العلماءِ هم المتعلمون، وهم عُلماءُ المستقبل، وهم مِحور العمليّة التربويّة والتعليمية، وهذه العملية التربوية التعليمية ترتكِزُ على حُسنِ أداءِ المعلّم مع تلاميذه، وشدّة تأثيره عليهم، وآدابِهِ معهم وآدابهم معه.

ينظر كثير من طلاب العلم لسلوك المعلم وأدبه قبل اللجوء إليه للتعلّم، ولا يأخذ المتعلّم من المعلّم بمعلومة أو نصيحة، إلّا إذا كان صاحب خلق وأدب يليق بمكانته العلمية بين طلبته، وبناءً عليه أن يتخلق بعدة أخلاق مع نفسه وفي مكان تعلمه، قبل أن يُقدم على التعامل مع طلبته.

يعتقد الغزالي أن التعليم صناعة من أشرف الصناعات، مستشهدا في ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت معلما" ويرى أن الإنسان، أشرف مخلوق على الأرض وأن أشرف ما في الإنسان قلبه ولأن المعلم مشتغل بتطهير القلب وتقريبه إلى الله فهي صناعة من أشرف الصناعات.

وفي ذلك يقول: أشرف موجود على الأرض جنس الإنس وأشرف جزء من جواهر الإنسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليله وتطهيره وسياقه إلى القرب من الله عز وجل. فيتعلم العلم من جهة عبادة الله تعالى ومن جهة خلافة الله تعالى ومن خلافة الله

فإن الله قد فتح على قلب العالم العلم الذي هو أخص صـــفاته، فهو كالخازن لأنفس خزائنه.

وتعد الآداب المهنية للمعلم مهمة في العملية التربوية التعليمية، حيث إن المتعلم يتأثر بها تأثير مباشـــرا إما ســـلبا وإيجابا، لذا كان من الأهمية بمكان أن يعتني المعلم بهذه الآداب التي يتعامل فيها مع المتعلمين تعاملا مباشرا.

وفيما يلي أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها المعلم مع طلبته مطلقاً في حلقته...

الأول: أن ينوى بتعليم الطلاب وجه الله تعالى ونشر العلم:

فقد كان الهدف الأول من رسالة المعلم هو نشر العلم؛ باعتباره رسالة ينبغي عليه أن يتقن أداءها، وبالتالي كانت نيته موجهة إلى نشـر العلم؛ ابتغاء مرضـات الله تعالى، لا يبغى من وراء ذلك مالا أو سـمعة أو شـهرة، لذلك وجه الفكر التربوي الإسـلامي المعلم إلى ضـرورة أن يقصـد بعلمه وجه الله ونشـر العلم، وإظهار الحق، وخمول الباطل، ودوام الخير للأمة الإســـلامية بكثرة علمائها؛ حتى يحصـــل له الثواب من دعاء من يتعلمون على يديه. وهذا ما أشـار إليه الحديث النبوي الشـريف؛ حيث يعد هذا العلم الذي يبتغى به المعلم وجه الله عملا متصلا ينتفع به الناس، ويحصل هو على أجره.

وقد شـدد الفكر التربوي الإسـلامي على أهمية النية في ميدان العلم، يقول ابن الحاج العبدري: " وَيَنْبَغِي لَهُ أَيْضًـــا إذَا قَعَدَ فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِلَّهِ تَعَالَى لِتَعَلُّمِ أَحْكَامِ رَبِّهِ وَتَعْلِيمِهَا لَعَلَّهُ يَدْخُلُ فِي عُمُومِ مَا وَرَدَ عَنْهُ – عَلَيْهِ الصَّـــلَاةُ وَالسَّـــلَامُ – "مَنْ صَلَّى الْفَرِيضَـةَ ثُمَّ قَعَدَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ نُودِيَ فِي السَّمَوَاتِ عَظِيمًا" أَوْ كَمَا قَالَ – عَلَيْهِ الصَّـــلَاةُ وَالسَّـــلَامُ، فلا يقعد لأن يرأس به على غيره، أو يقال فلان مدرس أو مفيد أو يبحث أو نبيه أو حاذق أو صاحب فهم".

ويقُولُ ابنُ الجوزيّ – رحمه الله –:"وَمِنْ ذَلِكَ اشْـتِغَالُ الْعَالِمِ بِصُـورَةِ الْعِلْمِ وَإِنَّمَا يُرَادُ الْعَمَلُ بِهِ وَالْإِخْلَاصُ فِي طَلَبِهِ فَيَذْهَبُ الزَّمَانُ فِي حُبِّ الصِّـيتِ وَطَلَبِ مَدْحِ النَّاسِ فَيَقَعُ الْخُسْـرَانُ إذَا حُصِّـلَ مَا فِي الصُّـدُورِ، وَمِنْ ذَلِكَ اقْتِنَاعُ الْعَالِمِ بِطَرَفٍ مِنْ الْعِلْمِ، فَأَيْنَ مُزَاحَمَةُ الْكَامِلِينَ وَالنَّظَرُ فِي عَوَاقِبِ أَحْوَالِهِمْ".

وإذا كانت آراء العلماء المسـلمين حول النية في التعليم مرتبطة بالعلوم الدينية، فإنها – أيضـا – يمكن أن ترتبط بالعلوم الدنيوية، إذا كان المعلم ينوى بها نشـر العلم وإفادة المسـلمين؛ حتى يتحقق لهم التقدم والرقى، فهو بهذا العمل لا يبغى الأجر أو الراتب أو أية مكافأة مالية، ولا ينتظر من مهنة التعليم غير إرضاء الله تعالى ونشر العلم. وبالتالي فهو يرى أن ما لديه من علم أمانة يجب عليه أداؤها، ومن هنا حرم الإسلام كتمان العلم وعدم توصيله للآخرين.

الثاني: ألا يمتنع عن التعليم لعدم خلوص نيته:

قد يمتنع المعلم عن الوقوف للتعليم؛ لأن نيته ليسـت خالصـة لله تعالى، وهو يعلم – سلفا – التشديد في الأمر المتعلق بحسن النية، وهو بذلك يكون قد وقع في الخطأ؛ لأن تحسين النية – على حد تعبير ابن جماعة – يحصل ببركة العلم.

يقول بدر الدين بن جماعة في هذا الأدب ناصحا المعلم:" ألا يمتنع عن تعليم الطالب لعدم خلوص نيته؛ فإن حسـن النية مرجو ببركة العلم. قال بعض السـلف: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، قيل معناه فكان عاقبته أن صار لله، ولأن إخلاص النية لو شـرط في تعليم المبتدئين فيه مع عسـره على كثير منهم، لأدى ذلك إلى تفويت العلم كثيراً عن الناس".

وقد يرتبط بالامتناع عن التعليم لعدم خلوص النية، أمر أشد خطورة وهو كتمان العلم وهو محرم في الإسلام، " عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يوم القيامةِ بِلِجَامٍ مِنْ نارٍ".

وقد عاب القرآن على أهل الكتاب كتمان العلم، فقد أخذ الله عهدا على أهل الكتاب على ألسنة أنبيائهم أن يؤمنوا بالرسول – صلى الله عليه وسلم – ولكنهم كتموا ذلك، يقول تعالى:" وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ" (أل عمران 187). كما توعد القرآن من يكتمون العلم، قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ" (البقرة 159).

من هذا المنطق وجدنا الفكر التربوي الإسلامي يأمر المعلم ألا يكتم علما، أو يمتنع عن تعليم طلابه بحجة أن نيته غير خالصة لله تعالى.

الثالث: أن يرغب المتعلمين في تحصيل العلم في أكثر الأوقات:

للعلم والعلماء منزلة عالية في الإسلام، وقد وردت عديد من الآثار، سواء في القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، أو أقوال السلف، تحث على العلم وطلبه، وتبين فضل العلماء ومنزلتهم، وينصح ابن جماعة المعلم أن يستغل هذه الآثار في ترغيب المتعلمين في العلم وتحصيله ومدارسته.

ويقول في هذا المعنى على المعلم: " أن يرغبه في العلم وطلبه في أكثر الأوقات، بذكر ما أعد الله – تعالى – للعلماء من منازل الكرامات، وأنهم ورثة الأنبياء، وعلى منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء، أو نحو ذلك مما ورد في فضل العلم والعلماء من الآيات والآثار والأخبار والأشعار".

وقد ذكر الماوردي: إن من آداب العلماء أنهم لا ينفرون المتعلمين، فلا يحبطونهم في أثناء تلقيهم العلم، وإنما يرغبونهم فيه، يقول الماوردي:" ومن آدابهم ألا يمنعوا طالباً ولا ينفروا راغباً ولا يؤيســـوا متعلماً؛ لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم، والزهد فيما لديهم، واستمرار ذلك مفضٍ إلى انقراض العلم بانقراضهم".

والمعلم في أثناء ترغيبه لطلابه في العلم ينبغي عليه أن يكون قدوة لهم في هذا الأمر، فهو دائم الاطلاع والقراءة، دائم الاستزادة من العلم، يطلع على ما كتب في مجال تخصصه، ومن هنا سيؤثر في طلابه بسلوكه وفعله لا بقوله.

وأفضل مرحلة يستزيد فيها الإنسان من العلم هي مرحلة الشباب، وهذا ما وجه الفكر الإســـلامي المعلم إليه؛ إذ عليه أن يبادر وقت شـــبابه في الاســـتفادة من كل وقته في التحصـــيل، ولا تضـــعف عزيمته ولا يســـوف؛ لأن كل ســـاعة تمر عليه لا بديل لها ولا عوض عنها، وعليه أن يبتعد عن العلائق التي يمكن أن تشـــغله عن طلب العلم والجد والاجتهاد في تحصيله.

الرابع: أن المعلم يكون للمتعلم بمنزلة الوالد لولده:

اهتم الفكر التربوي الإســـلامي بتحســـين العلاقات داخل العملية التعليمية، وبالأخص العلاقة بين المعلم والمتعلم، وهذه النقطة كانت موضـــع اهتمام عديد من المفكرين أمثال: الغزالي وابن سحنون والقابسي وابن جماعة والماوردي وغيرهم من العلماء المسلمين، بل أصبحت هذه العلاقة موضع اهتمام علماء النفس المعاصرين؛ فتحسين هذه العلاقة – لا شك – لها مردودها الإيجابي على العملية التعليمية.

ومن هذا المنطلق نظر الفكر التربوي الإسلامي إلى العلاقة بين المعلم والطالب على أنها علاقة أبوه، ومن هنا يطلب ابن جماعة من المعلم: " أن يحب لطالبه ما يحب لنفســـه كما جاء في الحديث ويكره له ما يكره لنفســـه. قال ابن عباس: أكرم الناس علىّ

جليس الذي يتخطى رقاب الناس إليّ، لو اســـتعطت ألا يقع الذباب عليه لفعلت. وفى رواية إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني. وينبغي أن يعتنى بمصـــالح الطالب، ويعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنو والشفقة عليه والإحسان إليه".

لذلك لم يكن غريبا أن نرى عالما مثل ابن سحنون يطلب من المعلم أن يأمر الصبي بالصلاة لسبع، وأن يضربهم عليها وهم بنو عشر، وهو الأمر الذي أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – الآباء به، يقول ابن سحنون: " وينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بنى سبع سنين، ويضربهم عليها إن كانوا بنى عشر".

كذلك من واجب المعلم أن يحســـن تأديب طلابه، وأن يصـــبر على ما يظهر من المتعلم من جفاء وســـوء أدب، ولا يعنفه عند التأديب، ولا يصـــرح بهذا؛ لئلا يؤثر على نفسية الطالب المعاقب، إلا إذا لم يفهم الطالب خطأه قد يصرح المعلم بذلك، وعليه أن يؤدبهم بالآداب الإسلامية ويحرضهم على الأخلاق الرضية.

الخامس: التدرج مع الطالب، وألا يلقى عليه من العلم ما لم يتأهل له:

لقد أرســـى القرآن الكريم مبدأً مهما وهو مبدأ التدرج، فلم يحرم الخمر – على ســـبيل المثال – مرة واحدة ولكنه تدرج في تحريمها، وكذلك نزول القرآن منجماً أو مفرقا؛ حتى يتواكب مع أحداث المجتمع الذي نزل فيه، وحتى يثبت قلب النبي صلى الله عليه وسلم، وحتى يسهل حفظه من المسلمين، كل هذا كان دعما لمبدأ التدرج.

وقد استفاد العلماء المسلمون بهذا المبدأ وطالبوا بتطبيقه على العملية التعليمية، ومعلم اليوم مطالب بتمثيل هذا المبدأ، إذ عليه أن يكون على علم بالمســتويات العقلية لطلابه، فلا يلقى عليهم من العلم ما لم يتأهل فهمهم له؛ لأن ذلك يبدد ذهنهم، ويصـــعب عليهم فهمه، وإن سأله أحد الطلاب عن شيء من ذلك على المعلم ألا يجيبه، ويعلمه أن ذلك

يضـره ولا ينفعه، وهو في ذلك يشـفق عليه ويلطف به، وليس بخلا عليه، بعد ذلك عليه أن يرغبه في التحصيل؛ حتى يتأهل لهذا العلم وغيره.

وقد اهتم الزرنوجى – أيضـــا – بهذا المبدأ طالبا من المعلم أن يتدرج مع المتعلم، بحيث لا يقدم له في البداية الكتب المطولة، وإنما يختار له الكتب الصـــغيرة البعيدة عن التطويل والتعقيد الذى لا يحتمله ذهنه، وبهذا يكون الزرنوجى – وهو من علماء القرن الخامس الهجري – قد ســبق علماء التربية المحدثين في وضـــع قواعد التدريس الناجح؛ حيث رأى أن طريقة التدريس يجب أن تراعى بعض القواعد العامة مثل: التدرج من السهل إلى الصـعب، والتدرج من البسيط إلى المركب، والتدرج من الواضـح المحدد إلى المبهم، والتدرج من المحسوس إلى المعقول؛ لأن هذا يساعد الطالب على الفهم والضبط ويبعد المتعلم عن الملل.

ويتفق ما يقوله الفكر التربوي الإســـلامي مع ما يقوله علم النفس الحديث من:" أن التدريب الموزع خير من التدريب الذي يتم مرة واحدة، والأمر كذلك في الحفظ".

وقد عقد ابن خلدون فصـلا في المقدمة تناول فيه التدرج في التعليم؛ حتى تتم الفائدة، وهو كلام جدير بالبحث والدراسة من المشتغلين بعلم النفس، فهو يربط التدرج بالاستعداد العقلي للمتعلم، ثم ضـــرورة تدرج المادة من حيث الســـهولة والصـــعوبة؛ حتى يتقن المتعلم المادة، وعلاقة كل ذلك بالفهم والتحصـــيل، ويســـتفيد من ذلك – أيضـــا – المشتغلون بالمناهج.

يقول ابن خلدون في وجه الصـــواب في تعليم العلوم وطرق إفادته: " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً، يلقى عليه أولاً مسـائل من كل باب من الفن هي أصـول ذلك الباب، ويقرب له شـرحها على سـبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واســـتعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر

الفن، وعند ذلك يحصـــل له ملكة في ذلك العلم إلا إنها جزئية وضـــعيفة، وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله".

ثم يطلب ابن خلدون من المعلم الانتقال من مرحلة الإجمال هذه إلى مرحلة لتفصيل، أو مرحلة التخصـص الدقيق، فيذكر له كل ما يتعلق بالفن، وأوجه الخلاف المتعلقة بهذا الفن؛ حتى يتقن المتعلم هذا العلم.

يقول ابن خلدون: " ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويســـتوفى الشـــرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن، فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شـــدّ، فلا يترك عويصاً ولا مهماً ولا مغلقاً إلا وضحه وفتح له مغلقه، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته، وهذا وجه التعليم المفيد". ولا شـــك أن هذا الكلام له أهميته في التدرج في بناء المناهج، بحيث تكون حلقة متصـلة تؤدى كل واحدة منها إلى ما بعدها؛ حتى يكون التعليم مفيداً، كما قال ابن خلدون.

السادس: أن يبذل الجهد في تعليم المتعلم مع تقريب المعنى دون إرهاق لذهن المتعلم:

إن المتعلمين يختلفون فيما بينهم من الناحية العقلية، فبعضـهم يمكن أن يفهم من أول مرة يشـرح فيها المعلم، وبعضـهم لا يفهم إلا بالتكرار، وبعضـهم لا يفهم إلا إذا ضـرب المعلم الأمثلة الحســـية؛ لتقريب المعنى إلى أذهان المتعلمين، وقد كان الفكر التربوي الإسلامي يراعى هذه الفروق بين المتعلمين.

يوجه ابن جماعة حديثه للمعلم: " أن يحرص على تعليمه وتفهيمه ببذل جهده وتقريب المعنى له، من غير إكثار لا يحتمله ذهنه، أو بسط لا يضبطه، حفظه ويوضح لمتوقف الذهن العبارة، ويحتسـب إعادة الشـرح له وتكراره، ويبدأ بتصـوير المسـائل ثم يوضـحها

بالأمثلة، وذكر الدلائل، ويقتصـــر على تصـــوير المســـألة وتمثيلها لمن لم يتأهل لفهم مأخذها ودليلها".

إن واجب المعلم يفرض عليه أن يكون ملماً بطبيعة طلابه؛ كي يتخذ من هذه المعرفة مدخلاً لتقديم المادة العلمية بالشـــكل المناســـب لطبيعة كل متعلم، فلا يقدم المعلومة للطلاب الأذكياء الطريقة نفسها التي يقدم بها المعلومة للطلاب الأقل ذكاءً، وهو في هذا النهج متبع لطريقة النبي – صلى الله عليه وسلم – في معاملة الآخرين.

وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعامل الناس على قدر عقولهم، حيث كان يعرف صفات كل شخص، ويأمره بما يناسب صفاته، فمنهم من كان يأمره بالإنفاق، ومنهم من أمره بالإمســـاك، ومنهم من أمره بالعمل والكســـب، ومنهم من أقره على ترك الكسب كأهل الصفة، فقد كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يعلم أوضاع الناس وما يصـــلح لها. ويتناول عبد الله بن مســـعود – رضـــي الله عنه – هذا المبدأ (الخاص بمراعاة حال الجالسين)، يقول: " إن الرجل ليحدث بالحديث فيسمعه من لا يبلغه عقلُه فهم ذلك الحديث فيكون عليهم فتنة".

وفى إشارة ابن خلدون للتدرج في تقديم العلوم للطلاب، نجده قد أشار إلى أن الطلاب مختلفون فيما بينهم في قدراتهم العقلية، فحصـــول الملكة، يكون نتيجة التكرار، ومن الطلاب من تحدث له الملكة بأقل من ذلك، ولذا يجب أن يكون في ذهن المعلم أن هناك اختلافاً بين طلابه؛ حيث إنه يعلم طلاباً يختلفون في اتجاهاتهم ومنطلقاتهم الفكرية والثقافية والعلمية.

ويضـــع الجاحظ للمعلم مبدأ يحقق له النجاح في عمله، فعليه قبل أن يتحدث مع المســـتمعين أن يوازن بين أحوالهم وكلامه؛ حتى يختار من الكلمات ما يناســـب أحوال المستمعين، ومن هنا يضمن تواصلهم معه وعدم تشتت انتباههم، فيجب على المعلم

معرفة أقدار المعاني، ثم يوازن بينها وبين أقدار المســـتمعين، فيجعل لكل مســـتمع ما يناسبه من معنى، على ألا تكون ألفاظه سوقية غريبة، ولكن عليه أن يجعل ألفاظه سهلة واضحة؛ لأن مهمته تنحصر في تبسيط المعنى وتوصيله للمتعلمين.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِحَلْقَةٍ قَدْ جَلَسُــوا إِلَى جَانِبِ الْكَعْبَةِ فَلَمَّا قَضَـــى طَوَافهُ جَلَسَ إِلَيْهِمْ، وَقَدْ نَحَّوْا الْفِتْيَانَ عَنْ مَجْلِسِهِمْ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلُوا أَوْسِعُوا لَهُمْ وَأَدْنُوهُمْ وَأَلْهِمُوهُمْ، فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ صِــغَارُ قَوْمٍ يُوشِــكُ أَنْ يَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ قَدْ كُنَّا صِــغَارَ قَوْمٍ أَصْــبَحْنَا كِبَارَ آخَرِينَ"، ثمّ أيّدَ ابنُ مُفلحٍ هذا المنهج الأصـــيلَ في التّربيةِ الإســـلاميّة، والّذي يقومُ عَلى بذلِ الجُهد للمتعلّمِ وتوقيرُهُ وإجلالُه فقال بعد قصّـــة عمرو بن العاص: "وَهَذَا صَـــحِيحٌ لَا شَكَّ فِيهِ" ثمّ ذكر السبَبَ في هذا البذلِ والعَطاءِ والتوقيرِ للمُتعلّمِ فقالَ: "وَالْعِلْمُ فِي الصِّغَرِ أَثْبَتُ فَيَنْبَغِي الِاعْتِنَاءُ بِصِــغَارِ الطَّلَبَةِ لَا سِـيَّمَا الْأَذْكِيَاء الْمُتَيَقِّظِينَ الْحَرِيصِــينَ عَلَى أَخْذِ الْعِلْمِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ عَلَى ذَلِكَ صِـــغَرُهُمْ أَوْ فَقْرُهُمْ وَضَـــعْفُهُمْ مَانِعًا مِنْ مُرَاعَاتِهِمْ، وَالِاعْتِنَاءِ بِهِمْ".

ولم يكن هذا الأمر بمراعاة حال المتعلمين، ينصــح به على المســتوى النظري، ولكن كل ما نصــح به المعلم كان يتم على المســتوى التطبيقي؛ بمعنى أن المبادئ التي أشــار إليها الفكر التربوي الإســلامي آمراً المعلم التمســك بها، كانت تطبق في الواقع العملي، والمتتبع لسير العلماء المسلمين يلحظ هذا الأمر.

فالمحدثون – على سبيل المثال – كانوا يراعون حال الجالسين عند البدء في الحديث، لذلك كان المحدث لا يواصـــل حديثه إلا بعد التأكد من أن المســـتمعين ما زالوا على حالتهم من النشــاط للاســتماع، ولكن عندما يشــعر أن هناك فتوراً فيهم، يدرك انشــغالهم، أو أنهم قد افتقدوا القدرة على الاســتيعاب والتركيز، الأمر الذي يجعله يختصـــر كلامه وينهى المجلس.

السابع: أن يمتحن فهم الطلاب بطرح الأسئلة بعد انتهاء الشرح، مع التلطف مع من لم يعرف:

عملية التدريس ليست عملية عشوائية، ولكن المعلم في حاجة إلى معرفة أثر جهده مع طلابه، هل هناك فهم واستيعاب أم لا؟ لذلك يطالب الفكر التربوي الإسلامي المعلم بأن يمتحن الطلاب بعد انتهاء الدرس، وهو ما يطلق عليه حديثاً اسم التقويم في العملية التعليمية.

إذ على المعلم إذا انتهى من شرح الدرس أن يطرح على طلابه بعض الأسئلة التي تتعلق بالدرس؛ كي يمتحن فهم الطلاب، وليتأكد من استيعابهم لما يقول، فمن أصاب في الإجابة شكره، ومن لم يعرف عليه أن يتلطف معه، ويعيد له الشرح، والهدف من ذلك، أن الطالب ربما استحيا أن يسأل المعلم في أثناء الشرح؛ حتى لا يشق عليه، أو لضيق الوقت، أو حياءً من زملائه؛ كيلا يتأخروا في الدرس بسببه.

وكان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يستخدم هذا الأسلوب، حيث كان يقوم بطرح المسائل على الصحابة يمتحن فهمهم لأمور الدين، " عَنْ مُعَاذٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ، فَقَالَ: "يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟"، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: "لا تُبَشِّرْهُمْ، فَيَتَّكِلُوا". وهناك أحاديث متعددة يستخدم فيها أسلوب طرح السؤال لاختبار أذهان الجالسين.

بعد ذلك ينصـــح ابن جماعة المعلم ألا يوقع الطالب في الكذب، يقول: " لا ينبغي للشـــيخ أن يقول للطالب هل فهمت إلا إذا أمن من قوله نعم قبل أن يفهم، فإن لم يأمن من كذبه لحياء أو لغيره، فلا يســـأله عن فهمه؛ لأنه ربما وقع في الكذب بقوله نعم، بل يطرح عليه مسـائل، فإن سـأله الشـيخ عن فهمه فقال نعم، فلا يطرح عليه المسـائل بعد ذلك إلا أن يستدعى الطالب ذلك؛ لاحتمال خجله بظهور خلاف ما أجاب به".

الثـامن: مطـالبـة الطلاب بـإعـادة المحفوظـات، مع شـــكر المجيـدين، وتعنيف المقصرين:

المعلم في حاجة إلى متابعة مستوى طلابه، ليتعرف على مدى التزامهم بالموضوعات التي تم عرضها، ومدى استيعابهم لها؛ حتى يتعرف على مواطن القوة والضعف عندهم، وفى الوقت نفســه يشــعر الطالب أن هناك من يتابع مســتواه العلمي، والمعلم في قيامه بهذه المهمة يجب عليه أن يكافئ المجيدين من الطلاب، وأن يعاقب المقصرين منهم.

لذلك يوجه ابن جماعة المعلم بأن عليه أن يطالب الطلاب في أوقات معينة بإعادة ما تم حفظه من موضـــوعات؛ حتى يمتحن فهمهم لها، ومعرفتهم بالقواعد المهمة أو المســـائل الغريبة، ويختبر أذهانهم بأمثلة أخرى تبنى على المســـائل التي ذكرها، فإن أصاب الطالب في الإجابة أشاد به وشكره وأثنى عليه بين زملائه؛ حتى يكون ذلك باعثاً له ولهم على الاجتهاد والازدياد من العلم.

أما إن رأى الطالب مقصراً، فيعنفه على قصوره هذا، ويأمره بعلو الهمة، ونيل المنزلة في طلب العلم، خاصـــة إذا كان هذا الطالب ممن يزيدهم التعنيف نشـــاطا، والشـــكر انبسـاطاً، كذلك يأمر ابن جماعة المعلم بأن يعيد ما يصـعب على الطالب؛ حتى يفهمه فهماً راسخاً. إنه بذلك يضع للمعلم القواعد التي يجب أن يسير عليها عند اختبار طلابه.

ومسألة عرض الطالب على الأستاذ، من المسائل التي نالت اهتماماً كبيراً في الفكر الإسلامي، خاصة أنها في البداية كانت تتعلق بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لذلك لم يكن يسمح للطالب بأن تقل نسبة إجادته في الحفظ عن 100%، فقد كان على الطالب أن يصحح ما يقرؤه قبل أن يحفظه؛ حتى يتقن القراءة، وذلك على يد المعلم أو غيره، بعد ذلك يحفظ الموضوع حفظاً جيداً، ثم يكرر على المعلم ما حفظ، ويعيد الحفظ في أوقات يحددها وألا يحفظ شيئاً قبل أن يصححه، حتى لا يقع في التحريف. وهذا الكلام يعد مقياساً جيداً يمكن أن يستخدمه المتعلمون في المذاكرة والحفظ.

التاسع: تعليم الطلاب الاقتصاد في الاجتهاد، واختبار أذهان الطلبة في ابتداء التعليم:

انطلاقا من مبدأ الاعتدال أو الوسطية التي أقرها الإسلام، ينصح الفكر التربوي الإسلامي المعلم – وهو أعلم بمستوى طلابه – ينصحه بأن يوجه الطالب إلى الاعتدال في الاستذكار، وألا يحمل نفسه فوق طاقتها؛ لأن ذلك أدعى إلى السآمة والملل.

فإذا رأى المعلم أن الطالب قد سلك في تحصيل الدروس بما يزيد على طاقته، الأمر الذي يؤدى إلى الملل، أوصاه المعلم أن يرفق بنفسه وذكره بقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "إِنَّ المُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى"؛ حتى يعتاد الطالب على التأني والاقتصاد في المذاكرة، وإذا ظهر منه شيء من السآمة والضجر، أمره المعلم بالراحة.

والمعلم في توجيهه للطالب يكون ملتزماً الرفق بهم، دون تعنيف، أو سخرية، أو تقليل لشأنه، إنما هو ملتزم بتوجيهات الرسول – صلى الله عليه وسلم –، يوجه طلابه على أساسها، عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله". وعنها أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

"إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق، ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه". وقوله – صلى الله عليه وسلم –:" وإنَّما يَرحمُ اللَّهُ من عبادِهِ الرُّحَماءَ ".

ويلتزم في ذلك – أيضـــا – بآداب العلماء، فقد كان من أدبهم ألا يعنفوا متعلما، ولا يحقروا، ولا يسـتصـغروا طالباً مبتدئاً، وإنما يعطفون عليهم، ويرغبونهم في طلب المعلم، تأسياً بما ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – حيث قال: " عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :"علموا ولا تعنفوا، فإن المعلم خير من المعنف".

والمعلم في أثناء ذلك ينبغي عليه أن يوجه الطالب إلى العلم الذي يناسـب اسـتعداده بعد أن يختبر ذهنه؛ لأن ذلك أدعى إلى استثمار قدرات الطلاب:" فإن استشـار الشـيخ من لا يعرف حاله في الفهم والحفظ في قراءة فن أو كتاب لم يشـر عليه بشـيء؛ حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله، فإن لم يحتمل الحال التأخير أشـار عليه بكتاب سـهل من الفن المطلوب، فإن رأى ذهنه قابلاً وفهمه جيداً، نقله إلى كتاب يليق بذهنه وإلا تركه، وذلك لأن نقل الطالب إلى ما يدل نقله إليه على جودة يزيد انبساطه، وإلى ما يدل على قصوره يقلل نشاطه".

العاشر: أن يقتصر المعلم على ما يتقنه من العلم:

إن المعلم ينبغي عليه أن يعلم مقدار علمه، فلا يفتى في مسألة أو علم دون أن يكون محيطاً به وملماً بجزئياته وفروعه، لذلك يأمر الفكر التربوي الإسلامي المعلم أن يقتصر على ما يعلمه دون الخوض في العلوم التي لا يجيدها؛ لأن ذلك أدعى إلى الحفاظ على مكانته، وأدعى إلى إفادة طلابه، وفى ذلك محافظة على العلم من الخطأ.

يقول ابن جماعة بعد أن يوضح مهمة المعلم في بيان أصل الفن وما يبنى عليه ذلك الفن:" وهذا كله إذا كان الشيخ عارفاً بتلك الفنون وإلا فلا يتعرض لها، بل يقتصر على ما يتقنه منها". وليعلم المعلم أن طاقته لا تسمح له بإتقان كل الفنون؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أودع في كل إنسان قدراً معيناً من الطاقة والاستعداد، وهي التي سماها القرآن (الوسع)؛ أى ما تتحمله النفس فلا تعجز عن أدائه.

إن إتقان المعلم لمادته العلمية دون الخوض فيما لا يعلم، يتيح له توجيه طلابه إلى ذلك العلم، كل بحسب استعداده الخاص؛ لأن المعلم في هذه الحال يكون عالما بالمهارات التي يتطلبها هذا العلم، وهذا يساعده في أن: " يضع سلماً للأولويات تتحقق فيها التوافق بين المواد المدروسة، وطبيعة المرحلة العقلية والنفسية التي يمر بها الطلبة، وطبيعة استعداداتهم".

وقد طبق الخليل بن أحمد هذا المبدأ في توجيه أحد طلابه إلى العلم الذي يناسبه: " رُوى أن يونس بن حبيب كان يختلف إلى الخليل بن أحمد يتعلم منه العروض، فصعب عليه تعلمه فقال له الخليل يوماً: من أى بحر قول الشاعر: إذا لم تستطع شيئاً فدعه .... وجاوزه إلى ما تستطيع؟ ففطن يونس لما عناه الخليل، فترك العروض، وأخذ يتعلم النحو، وقواعد اللغة حتى أصبح في ذلك إماماً وعالماً شهيراً".

الحادي عشر: العدل بين طلابه في المعاملة:

ومسألة العدل بين الطلاب تناولها عديد من العلماء بالتفصيل، وهم في تناولهم لها يستندون إلى الأصول الإسلامية التي تدعو الراعي إلى العدل بين الرعية، والمعلم باعتباره راعياً للطلاب فقد أمره الإسلام بالعدل بين طلابه، وألا يفرق في المعاملة بين غنى وفقير، كذلك لا يفرق بين طلابه على أساس أنسابهم.

والمعلم كوالد لطلابه عليه ألا يظهر لهم أنه يفضل بعضهم على بعض في المعاملة أو المودة والعناية، خاصة إذا ما تساوى الطلاب في السن أو الخلق أو التحصيل؛ لأن ذلك يثير بينهم العداوة والكراهية، وإنما عليه أن يظهر إكرامه وتفضيله لبعض الطلاب إذا كانوا أكثر تحصيلاً، وأشد اجتهاداً، وأحسن أدباً، ويبين لهم أن إكرامه يرجع لهذه الأسباب، مما يبعث الآخرين على الاتصاف بتلك الصفات.

معنى ذلك أن الفكر التربوي الإسلامي يرى أن معيار التفاضل بين الطلاب هو تميز بعضهم على بعض في الاجتهاد والأدب والتحصيل، ولا يكون التفضيل بينهم على أساس الغنى أو الفقر، وتتصل موضوعية المعلم بالعدل اتصالاً وثيقاً، حيث ينبغي عليه أن يكون موضوعياً في تعامله مع الطلاب، بألا يجامل أحدهم على حساب الآخر، ولا يؤثره على زملائه، بل يتصف بالإنصاف مع إعطاء كل ذي حق حقه، إنه بذلك يهيئ بيئة تعليمية صالحة خالية من الحقد والبغضاء.

ويورد ابن سحنون دليلاً نقلياً عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – يوجب العدل بين المتعلمين، فهو فقيه يورد النص وأدلته من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وآراء الصحابة. " عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: أيما مؤدب ولى ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية، فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم، حُشر يوم القيامة مع الخائنين".

ويجعل القابسي عدل المعلم بين طلابه، وعدم تفضيل بعضهم على بعض، حقاً للطالب يجب على المعلم أداؤه له، يقول القابسي:" ومن حقهم عليه أن يعدل بينهم في التعليم، ولا يفضل بعضهم على بعض، وإن تفاضلوا في الجعل".

ويربط ابن الحاج العبدري بين عدل المعلم بين طلابه، الغنى منهم والفقير، من أعطاه ومن منعه، يربط العبدري بين عدل المعلم وصـــدق نيته، يقول ابن الحاج العبدري: " ويكون الصـــبيان عنده بمنزلة واحدة لا يشـــرف بعضـــهم على بعض؛ فابن الفقير وابن صـــاحب الدنيا على حد واحد في التربية والتعليم، وكذلك من أعطاه ومن منعه؛ إذ بهذا يتبين صـدق حاله فيما هو بصـدده، فإن كان يعلم من أعطاه أكثر ممن لم يعطه، فذلك دليل على كذبه في نيته".

يتضـح من كلام العلماء المسـلمين عن العدل بين المتعلمين أن هذه قيمة ينبغي على المعلم أن يتمسـك بها، ويعامل طلابه على أسـاسـها، فهو مطالب بمعاملة طلابه على أنهم سواسية لا فضل لأحدهم على الآخر بسبب التفاوت الاجتماعي والاقتصادي بينهم، فهو لا يجامل هذا لثرائه أو لمركز والده الاجتماعي المرموق، ولا يحط من شـــأن ذاك لفقره، أو لوضع والده المنخفض في المجتمع.

ويرتبط بالعدل بين الصبيان أمر آخر حدده ابن جماعة، وهو التودد للحاضرين وذكر الغائبين بالحسن والثناء، يقول ابن جماعة ناصـحاً المعلم:" وينبغي أن يتودد لحاضـرهم، ويذكر غائبهم بخير وحســن ثناء، وينبغي أن يســتعلم أســماءهم وأنســابهم ومواطنهم وأحوالهم ويكثر الدعاء لهم بالصلاح".

وإذا كانت العلاقة بين المعلم والمتعلم، كالعلاقة بين الوالد وولده، فلا شـــك أن ذلك أدعى إلى حرص المعلم على طلابـه علميـاً وخلقيـاً، كمـا إن ذلـك أدعى إلى احترام الطلاب له كاحترامهم لآبائهم، مما يؤثر – إيجاباً – على الطلاب من الناحية النفســـية والخلقية والعلمية.

الثاني عشر: مراقبة أحوال الطلاب في آدابهم وأخلاقهم باطناً وظاهراً وحسن تأديبهم:

لقد اهتم الفكر التربوي الإســـلامي بالبعد الاجتماعي في عملية التعليم اهتماماً كبيراً؛ فوظيفة المعلم ليست مقتصرة – فقط – على توصيل المادة العلمية لطلابه، وإنما هو – أيضـــا – مطالب بتقويم أخلاق طلابه ومراعاة أحوالهم، وتعهدهم بالرعاية وإصـــلاح اعوجاجهم.

إن من واجب المعلم أن يتعهد طلابه، فيراقب أحوالهم، ويتعهد أخلاقهم بالرعاية، فإذا صـدر عن أحد من طلابه سـلوك لا يليق، كارتكاب محرم أو مكروه، أو فعل يؤدى إلى فســاد، أو أســاء الأدب في حق المعلم أو غيره، أو كثر كلامه دون توجيه وبغير فائدة ترجى من هذا الكلام، أو صاحب أحداً لا ينبغي صحبته، على المعلم أن ينهاه عن ذلك ويوجهه إلى ما فيه صلاحه.

إن القدوة المتمثلة في المعلم تجعل من قيامه بمهمة تهذيب أخلاق طلابه مهمة سهلة؛ حيث يرى فيه الطالب الناصح الأمين الذي يسعى إلى تقويمه، وإصلاح أخلاقه، لذلك يرى ابن جماعة أنه لا يســـتطيع أحد أن يؤثر في الطالب غير المعلم، فهو الذي يرفق به ويشفق عليه ويحبه، ويسعد بتعليمه، ويتحمل المشاق في سبيل رعاية التلاميذ، وتهذيب أخلاقهم، وتوجيههم إلى ما ينفعهم بكل أساليب الرحمة واللين.

ثم يحدد ابن جماعة الأســـلوب الأمثل في تقويم الطالب، وتهذيب أخلاقه بما يؤدى إلى الأثر المطلوب، ودون أن يحدث حرجاً في نفس المتعلم، فكما على المعلم أن ينهى طلابه عن سوء الخلق، عليه أن ينهاه سراً في بداية الأمر، فإن لم ينته نهاه علانية مع الغلظة في القول؛ حتى يرجع هو وغيره، فإذا لم يرجع فلا بأس أن يقوم المعلم بطرده والإعراض عنه حتى يرجع، خاصـــة إذا ما خاف المعلم على الطلاب أن يفعلوا مثله،

فكما يعلم المعلم الطلاب أمور دينهم لمعاملة الله تعالى، فإنه – أيضا – يعلمهم مصالح دنياهم لمعاملة الناس.

الثالث عشر: مساعدة الطلبة والاستفسار عن أحوال الغائبين:

ينظر الفكر التربوي الإسلامي إلى المعلم على أنه والد لطلابه، لذا فهو يسعى إلى خدمتهم، والسعي في مصالحهم، والسؤال عن غائبهم، وعيادة مريضهم، إذ لا تتوقف وظيفته عند الناحية العلمية فقط، بل للناحية الاجتماعية أثرها على الطالب، فعلى أساس نجاح المعلم في تعامله مع الطالب من الناحية الاجتماعية، يكون نجاح الطالب في أداء كل ما يطلب منه.

ومن هنا كان توجيه الفكر التربوي الإسلامي للمعلمين بضرورة السعي في مصالح الطلاب، ومساعدتهم مادياً واجتماعياً إن استطاعوا؛ لأن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن يسر على معسر يسر الله عليه يوم القيامة، وخصوصاً إذا كانت الإعانة في طلب العلم، إذ هو من أعظم القربات إلى الله تعالى.

ولا شك أن قيام المعلم بذلك يزيد من الأُلفة والمحبة بينه وبين الطلاب، وتزداد ثقة كل طرف في الآخر، كما إن هذه المعاملة من المعلم تزيد من محبة تلاميذه لمادته العلمية، الأمر الذي يؤدى إلى إجادتهم لها، كذلك: "يؤدى أسلوب المعلم الذي يتسم بالتقبل والدفء أو الصداقة إلى زيادة درجة التوافق بين قيمه وقيم تلاميذه".

وزيادة على ذلك فإن على المعلم الاستفسار عن أحوال الغائبين وعيادة المرضى، كما أكد ابن جماعه على ذلك، حيث يرى أن على المعلم إذا غاب بعض الطلاب الملازمين لحلقته غياباً زائداً عن العادة، سأل عنه وعن حاله، فإن لم يطمئنه أحد أرسل إليه أو ذهب إلى منزله بنفسه وهو أفضل، فيعوده إن كان مريضاً، وإن كان في غم واساه، وإن

كان مسافراً تفقد أهله، وسأل عنهم، وقضى لهم حوائجهم، ووصلهم إن أمكن، وإذا كان يحتاج إلى شـــيء أعانه، وإن لم يكن له حاجة تودد إليه ودعا له. ثم يوجه ابن جماعة نظر المعلم إلى أن الطالب الصالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعز الناس عليه وأقرب أهله إليه.

الرابع عشر: التواضع مع الطالب والمعاملة بطلاقة الوجه:

ويستند هذا الأمر إلى العديد من الأصول الإسلامية، في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والتي تحث المســلمين على التواضـــع، وابن جماعة باعتباره من أصـــحاب المذهب الفقهي يستند إلى هذه الأصول، ويدعو المعلم من خلالها إلى أن يتواضع مع طلابه، ومعاملتهم بوجه طلق؛ فهو أحق الناس باتباع هذه القيمة العظيمة.

يقول ابن جماعة موجهاً كلامه للمعلم: " أن يتواضع مع الطالب وكل مسترشد سائل، إذا قام بما يجب عليه من حقوق الله – تعالى – وحقوقه، ويخفض له جناحه، ويلين له جانبه". ويستشهد ابن جماعه بقوله تعالى: " وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (الشعراء 215). وقد وردت عديد من الأحاديث التي تأمر بالتواضع:" روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "التواضعُ لا يزيدُ العبدَ إلَّا رِفْعَةً، فتواضَعُوا يرفَعْكم اللهُ تعال". " وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن اللهَ عز وجل أوحى إلى أن تواضعوا، ولا يبغِ بعضُكم على بعضٍ".

لذلك كانت هذه السمة غالبة في تعامل الصحابة مع بعضهم، وحث عليها العلماء والتابعون:" قال الشعبي: صلى زيد بن ثابت على جنازة، فقربت إليه بغلة ليركبها، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه، فقال زيد: خل عنك ابن عم رســـول الله، فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء، فقبل زيد بن ثابت يده وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم".

ويجعل الإمام الشافعي التواضع وسيلة من وسائل إدراك العلم، يقول الإمام الشافعي: " لا يطلب هذا العلم أحد بالملك وعزة النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش، وخدمة العلم، وتواضع النفس، أفلح". فالعلم ينبغي أن يظهر أثره على المعلمين؛ بحيث يتصفون بالتواضع؛ لأنهم أحق الناس بتلك القيمة التي أمر الإسلام باتباعها، والتواضع وسيلة لجذب الآخرين والتأثير فيهم.

ويؤكد الماوردي على أهمية التواضع، وأنه سمة لازمة للعلماء، فيحدد أن من آداب العلماء التواضع واجتناب العجب؛ لأن العجب منفر والتواضع يقرب، وإذا كان العجب قبيحاً فهو بالعلماء أقبح؛ لأن الناس يقتدون بهم، وكثيراً ما يداخلهم العجب؛ لانفرادهم بفضيلة العلم، ولو أنهم نظروا وعملوا بموجب العلم، لكان التواضع ومجانبة العجب بهم أولى؛ لأن العجب ينافى فضل العلم لا سيما مع قول النبي – صلى الله عليه وسلم –:" إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب:" وبالتالي لا يكفي ما أدركوه من فضيلة العلم بما أصابهم من رذيلة العجب.

بعد ذلك يشير الماوردي إلى سمة من يفتخر بعلمه، فمن يصيبه العجب بالعلم، كان ذلك دليلاً على فقره في العلم، وجهله بكثير من أمور مادته العلمية. يقول الماوردي: " وقلما تجد بالعلم معجباً، وبما أدركه منه مفتخراً، إلا من كان فيه مقلاً ومقصراً؛ لأنه قد يجهل قدره، ويحسب أنه نال بالدخول فيه أكثره، فأما من كان فيه متوجهاً، ومنه مستكثراً، فهو يعلم من بعد غايته والعجز عن إدراك نهايته ما يصده عن العجب به".

ويرتبط بالتواضع أن يقابل المعلم طلابه بطلاقة الوجه، إذ عليه أن يرحب بطلابه إذا التقى بهم وعند إقبالهم عليه، ويكرمهم إذا جلسوا إليه، ويحاول أن يسأل عن أحوالهم، وأحوال أهليهم، كما يجب عليه أن يعاملهم بطلاقة الوجه والبشر، وحسن المودة والرحمة،

وإظهار المحبة لهم والإشـفاق عليهم، ومثل ذلك يؤدى إلى انشـراح صـدورهم، وطلاقة وجوههم، وعليه أن يزيد في ذلك للطالب الذي يرجى صلاحه وفلاحه.

يستند هذا الكلام عن التواضع وطلاقة الوجه إلى القاعدة الإسلامية العامة التي أمر الله – تعالى – رسوله – صلى الله عليه وسلم – باتباعها، في قوله تعالى:" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (آل عمران159).

الخامس عشر: ألا يستخدم الطلاب في قضاء حوائجه:

يقول ابن سحنون في هذا المعنى: "ولا يجوز للمعلم أن يرسل الصبيان في حوائجه". إن الهدف الرئيس من إرسال الآباء أولادهم إلى المدارس ليست خدمة المعلم وقضاء حاجاته، ولكن للتعليم وتحصيل العلوم، ومن هنا كان نهي الفكر التربوي الإسلامي المعلمين عن استعمال التلاميذ في قضاء حاجاتهم.

ويؤكد المغراوي على هذا المعنى بقوله:" ولا ينبغي للمؤدب أن يستخدم أحد الصبيان في حوائجه وأشغاله التي فيها عار على آبائهم، كنقل الزّبل وحمل الحجارة، وغير ذلك، ولا يرسله إلى داره وهي خالية؛ لئلا تتطرق إليه التهمة".

السادس عشر: ألا ينشغل عن التلاميذ:

نظر الفكر التربوي الإسلامي إلى عمل المعلم على أنه أمانة ينبغي عليه أداؤها على أكمل وجه، من هنا كره له أن ينشغل عنه يقول القابسي:" ولا يجوز للمعلم أن يشتغل عن الصبيان، إلا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه، فلا بأس بأن يتحدث، وهو في ذلك ينظر إليهم يتفقدهم". بل منع الفكر التربوي الإسلامي المعلم أن يحضر الجنازة

وعيادة المرضـــى في أثناء الدرس:" قال أبو عمران الفاســـي: ولا يجوز للمعلم حضـــور الجنازة ولا عيادة المرضى في وقت ملازمة الصبيان".

السابع عشر: التفريق بين البنين والبنات:

يقول القابســـي: " ومن صـــلاحهم، ومن حســـن النظر لهم، ألا يخلط بين الذكران والإناث، وقد قال ســـحنون: "أكره للمعلم أن يعلم الجواري، ويخلطهن مع الغلمان؛ لأن ذلك فساد لهن". ويؤكد المغراوي على هذا الأمر، بقوله:" ومن حسن النظر التفريق بين الذكور والإناث، وأُكره خلطهم؛ لأنه فســـاد، أما من بلغ حد التفرقة فواجب تفريقه منهم، ويحترس ممن يخاف فساده من الصبيان، ممن قارب الحلم أو كان ذا جرءة".

الثامن عشر: ألا يقبح في ذهن المتعلم العلوم الأخرى:

لكل علم من العلوم خصـوصـياته، وأهميته التي لا يدركها إلا المتعمق في هذا العلم، ومن هنا يأمر الفكر التربوي الإســـلامي المعلم الذي يقوم بتدريس مادة ما ألا يقبح في أذهان طلابه المواد الأخرى؛ حتى يعلى من شأن مادته؛ لأن هذا السلوك بعيد كل البعد عن أخلاق العلم.

يقول الغزالي في تحديده لوظيفة المعلم: " أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه، كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه. ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير، وأن ذلك نقل محض وسماع، وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه... فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تُجتنب، بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوســـع على المتعلم طرق التعلم في غيره، وإن كان متكفلاً بعلوم، فينبغي أن يراعى التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة".

لا بد أن يعلم المعلمون – كل في مجال تخصـــصـــه – أن مادته العلمية تتكامل مع مادة غيره من المعلمين، إذ تتحقق الفائدة بتكامل العلوم، ولا بد أن يكون هذا هو المفهوم الذي يغرســه المعلمون في أنفس المتعلمين، أن لكل علم فائدة، وفى الوقت نفســه ينبغي على المعلم أن يوجه نظر المتعلم إلى الاطلاع على العلوم المختلفة بحســـب مقدرة هذا المتعلم.

الفصل السادس

آداب المعلم في درسه

تمهيد:

إن عملية التعليم والتعلم لا تحدث في فراغ ولكنها تتم داخل إطار من العوامل المادية والإنسانية والنفسية وهذا الإطار يؤثر على سير العملية التعليمية سلبا أو إيجابا.

يعد مفهوم إدارة بيئة التعلم مفهوما مركبا يجمع بين عالمين، هما: عالم الإدارة المتسم بالشمولية والعمومية وخصوصية الاتصال بحقل الإدارة العامة وإدارة الأعمال، وعالم التربية والتعليم المتسم بخصوصية تختلف – إلى حد ما – عن عالم الإدارة- والذي يجمع العالمين هو العنصر البشري (الإنسان)، ذلك المخلوق الذي تدخل مجموعة اعتبارات في التفاعل والتعامل معه، فتجعل من إدارته وتوجيهه عملية ليست بالسهلة، ولا تتخذ صفة النمطية.

ومن خلال إدارة بيئة التعلم يمكن أن يكتسب الطالب كثيرا من العادات السلوكية والاتجاهات التي تسهم في نموه فكريا ونفسيا واجتماعيا، ومن ذلك المحافظة على النظام، تحمل المسؤولية والتعامل مع الآخرين وغير ذلك.

وتعرف إدارة بيئة التعلم بأنها: استثمار الإمكانات المتاحة؛ لتحقيق التربية المتكاملة لشخصية التلميذ داخل بيئة التعلم، وتتضمن عددا من العمليات الإدارية المختلفة من: تخطيط، وتنظيم، وتيسير، وتوجيه، وتقويم للعمل والأداء والأفراد. وهي مجموعة من الأنشطة والعلاقات الإنسانية الجيدة التي تساعد على إيجاد جو تعليمي واجتماعي فعال. أو مجموعة من الأنماط السلوكية التي يستخدمها المعلم؛ لكي يوفر بيئة تعليمية مناسبة، ويحافظ على استمرارها بما يمكنه من تحقيق الأهداف التعليمية المنشودة. كذلك هي مجموعة من النشاطات التي يسعى المعلم والطلاب من خلالها إلى تعزيز السلوك المرغوب فيه لديهم ويعملون على إلغاء وحذف السلوك غير المرغوب فيه لديه.

تحتاج البيئة التعليمية إلى تطهير النفوس بين أفرادها؛ فالمتعلمون بحاجة إلى تطهير أنفسهم مع بعضهم البعض، والمعلمون بحاجة إلى ذلك فيما بينهم، والمعلمون والمتعلمون بحاجة إلى إحياء أنفسهم بالإخلاص لله تعالى، وتوحيده، وحُسن الظن بالآخرين، كي يتحققَ الأمن النفسي بين الأفراد في البيئة التعليمية، مما ينعكس على سير العملية التعليمية برمتها.

وحتى تكون البيئة التعليمية فاعلة وجاذبة للمتعلمين، وضع علماء التربية المسلمون عددا من الآداب التي يجب أن يلتزم بها المعلم في درسه، وفيما يلي تفصيل لتلك الآداب...

الأول: الطهارة وحسن المظهر:

الإسلام هو دين الطهارة والنظافة؛ حيث دعا المسلمين للعناية بها، وجعلها شَعيرة من شعائر هذا الدين، وفريضة من فرائضه، حتى إنه جعلها شرطا من شروط الصلاة التي هي من أهم العبادات، وأعظم الواجبات، والطهارة من الأخلاق الفاضلة، والعادات السامية، لذلك أوجب الله –سبحانه وتعالى– على المسلمين أن يطهروا أبدانهم من الأنجاس، ويطهروا قلوبهم من الأحقاد والأضغان. وعلى المسلم الذي يبتغي أن يحقق محبة الله له أن يحرص على طهارته على الدوام

والتجمل وإظهار نِعَمِ الله هو من الشُّكر الذي أمرنا اللهُ – تعالى – به، سواء كان ذلك في الملبس أو المطعم أو المركب؛ فالله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، فعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَن أَبِيهِ عَن جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَن يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ"، وعندما أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ سيءُ الهيئةِ، قال له: "أَلَكَ مالٌ؟"، قال: نعم، من كلِّ

أنـواع المـال، قـال: "فليُـرَ عليـك، فـإنَّ اللهَ عـزَّ وجـلَّ يحـبُّ أن يَـرى أثـرَهُ علـى عبـده حَسَنَاً، ولا يحبُّ البُؤسَ والتَّبَاؤسَ".

لمجلس العلم هيبته ووقاره، وهذا يفرض على المعلم أن يكون ذا هيئة طيبة، وهذا ما وجه الفكر التربوي الإسلامي نظر المعلم إليه، فعليه قبل البدء في الدرس أن يتطهر من الحدث والخبث، وأن يتطيب، ويلبس أحســـن الثياب التي تناســـب أهل زمانه؛ تعظيما للعلم، فقد كانت هذه طريقة الإمام مالك – رضـــى الله عنه –، حيث كان يغتســـل، ويتطيب، ويلبس أحســن الثياب، ويضــع رداءً على رأســه، ويبخر بالعود، وذلك عندما يجلس لتعليم الحديث النبوي الشــريف، ويعلل هذا الســلوك بأنه يحب أن يعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولا يمكن إنكار ما لحســـن الهيئة من أثر في نفوس المتعلمين، وما يتبعها من هيبة واحترام منهم للمعلمين. وقد اشترط السمعاني على المملى أن يكون حسن الهيئة، يقول:" ويستحب أن يكون المملى في حال الإملاء على أكمل هيئة، وأفضل زينة، ويتعاهد نفسه قبل ذلك بإصلاح أموره التي تجمله عند الحاضرين من الموافقين والمخالفين".

لقـد اهـتم الإسـلام بالنظافـة اهتمامـا بالغـا دون مغـالاة، ودون أن يـؤدى ذلـك إلـى إعجـاب الإنسـان بنفسـه نتيجـة المغـالاة فـي ارتـداء أنـواع معينـة مـن اللبـاس الغاليـة، ودون أن يـؤدى إلــى الخـيلاء بـين النـاس، فحسـن المظهـر هنـا يتطلـب أن ينسـق المعلـم بـين ملابسـه، بحيـث تبـدو متسـقة مـع بعضـها، وبالشـكل الـذي يحفـظ للمعلـم وقاره.

والمعلمون أحق باتباع هذا الأمر الخاص بحســـن المظهر؛ لأن طبيعة عمله تفرض عليه ذلك، فهو يقف أمام طلابه وأنظارهم به معلقة، لذلك وجب عليه أن يكون ذا هيئة جميلة طيبة تريح الناظرين، وتجعلهم يقبلون على ما يقول؛ فالإنسـان إنسـان مهما كان، ومهما كان علم المعلم، فإنه إذا كانت هيئته هيئة قذرة رثة نفر منه الطلاب.

ولذلك ينبغي أن يكون ملبســه نظيفا مرتبا، منســجماً مع القيم الإســلامية، والعادات والتقاليد السائدة في بلده ومنطقته، وكذا الحال بالنسبة لشعره وأظافره؛ ليكون قدوة حسنة لطلابه.

الثاني: عند الخروج من منزله، ثم وقوفه أمام طلابه:

وفى ذلك يقول ابن جماعة: " إذا خرج من بيته دعا بالدعاء الصــحيح، عن النبي – صـلى الله عليه وسـلم – وهو: اللهم إني أعوذ بك أن أضـل أو أضـل أو أزل أو أُزل أو أظلم أو أُظلم أو أجهل أو يجهل على عز جارُك وجل ثناؤك ولا إله غيرك ثم يقول: بسم الله وبالله، حســبي الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اللهم أثبت جناني وأدر الحق على لساني".

بعد ذلك إذا ما وقف المعلم أمام طلابه عليه أن يلتزم بالســلام عليهم، وما أحســنَ بالمعلّم أن يستفتِح درسه وتعليمه بإلقاءِ السّلام والتّحية على تلاميذِه: "فَقَوْلُهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيْ اسْـمُ السَّـلَامِ عَلَيْكَ، وَمَعْنَاهُ اسْـمُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَيْ أَنْتَ فِي حِفْظِهِ كَمَا يُقَالُ اللَّهُ يَصْـحَبُكَ وَاَللَّهُ مَعَكَ وَقَالَ بَعْضُـهُمْ: السَّـلَامُ بِمَعْنَى السَّـلَامَةِ أَيْ السَّـلَامَةُ مُلَازِمَةٌ لَكَ" ويُسـلّمُ على التلاميذ عند خروجِه كما ســلّم عليهم في دخوله، لأنّهُ بذلك يســتودِعُهُم في حفظ الله تعالى: "وَمَنْ سَلَّمَ عَلَى جَمَاعَةٍ فِي دُخُولِهِ أَعَادَهُ فِي خُرُوجِه"

وأن يحافظ على مسلكه داخل القاعة، فلا يكثر الزحف أو التنقل من مكانه، ولا يكثر العبث بيديه، ولا يكثر النظر من غير حاجة تدعو لذلك، وعليه أن يبتعد عن المزاح والضحك؛ لأن هذا يقلل من هيبته في نظر طلابه، الأمر الذي يجعلهم يستخفون به، بل ويعرف بين طلابه بكثرة المزاح.

يضع ابن جماعة – بذلك – بعض الضوابط التي ينبغي أن يلتزم بها المعلم في وقفته أمام المتعلمين، فلا يجب عليه أن يكثر من الحركة والتنقل من مكان لآخر، ولا يكثر من العبث بيديه، ولا يكثر من النظر دون داع، ولا يكثر من الضحك والمزاح؛ لأنه يذهب الهيبة.

كأن الفكر التربوي الإسلامي بذلك يضع للمعلمين القواعد التي يجب أن يتبعها منذ خروجه من منزله إلى أن يقف أمام طلابه، من مظهر ومن سلوك اجتماعي في أثناء عمله، وما ينصح به ابن جماعة في هذا الجانب يظهر اهتمامه بأدق تصرفات المعلم حتى لا يخطئ في سلوكه أو تصرفه. ولا شك أن في ذلك نجاحا للمعلم في أداء مهمته وزيادة في التأثير على طلابه.

الثالث: المعاملة الحسنة لطلابه:

إن المعاملة الحسنة من جانب المعلم لطلابه لها تأثيرها الإيجابي على إقبال الطلاب عليه وحبهم له، وبالتالي حبهم للمادة التي يقوم بتدريسها، لذلك كانت هذه السمة موضع اهتمام الفكر التربوي الإسلامي، الذي يطالب المعلم باحترام طلابه، والتلطف معهم، وإكرامهم بحسن السلام وطلاقة الوجه، وأن يرفع بعضهم على بعض بحسب تقدمهم في الأمانة، وهذا أدعى إلى تحسين العلاقة الاجتماعية بين المعلم والمتعلم، الأمر الذي يؤثر إيجابا على نفسية المتعلم.

وتقديم بعض الطلاب على بعض بسبب تفوقهم العلمي، لا يناقض العدل بين المتعلمين، ولكنه حافز للآخرين كي ينمو من مستواهم العلمي.

وقد كان عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – يقدم عبد الله بن عباس – رضي الله عنه – على كبار الصحابة،" عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريهم فقال: ما تقولون في قول الله عز وجل:" إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ" (النصر 1)؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي أ كذلك تقول يا بن عباس؟ فقلت: لا، فقال ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أعلمه له قال: " إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ "، فذلك علامة أجلك، فقال عمر بن الخطاب: لا أعلم منها إلا ما تقول".

بعد ذلك ينصح ابن جماعة المعلم بأن يلتفت إلى المتعلمين، ويقبل بوجهه على من يوجه له السؤال، إشعارا له بأهمية سؤاله، وإذا كان مطلوبا من المعلم الالتفات إلى جميع الطلاب حسبما تقتضي الحاجة، ولكن يطلب منه أن يخص السائل بمزيد من الالتفات إليه والإقبال عليه، حتى وإن كان صغيرا؛ لأنه إن ترك هذا الفعل يجعله مشابها لأفعال المتجبرين المتكبرين. وهذا الفعل يكسب الطالب الثقة في نفسه؛ حين يشعر بمدى اهتمام المعلم بما يقول، وبالتالي تتكون لديه الشخصية الإيجابية التي تميل إلى السؤال والمناقشة.

ومن المعاملة الحسنة لطلابه ألا يتكبر عليهم، قال ابن مفلح – رحمه الله – ناصحا المعلم: "عدمُ التكبُّرِ عَلَى التّلاميذِ أوِ ازدراؤهُمْ أوِ احتقارُهُم؛ الكِبرُ والازدراء والاحتقار ليسَ مِنْ صِفاتِ المعلّمِ المُسلِمِ النّاجِح، فهذِه الصّفاتُ مِنْ أشدِّ ما يصرِفُ المُتعلّمين عن

العِلم، والله تعالى يقول في كتابه الكريم: و" وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" (لقمان18).

وينقل ابن مفلح – رحمه الله – قَوْلُ عُمَرَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: تَوَاضَعُوا لِمَنْ عَلَّمَكُمْ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَّارِي الْعُلَمَاءِ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ لِحَلْقَةٍ قَدْ جَلَسُوا إلَى جَانِبِ الْكَعْبَةِ فَلَمَّا قَضَى طَوَافهُ جَلَسَ إلَيْهِمْ، وَقَدْ نَحَّوْا الْفِتْيَانَ عَنْ مَجْلِسِهِمْ، فَقَالَ: لَا تَفْعَلُوا أَوْسِعُوا لَهُمْ وَأَدْنُوهُمْ وَأَلْهِمُوهُمْ، فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ صِغَارُ قَوْمٍ يُوشِكُ أَنْ يَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ قَدْ كُنَّا صِغَارَ قَوْمٍ أَصْبَحْنَا كِبَارَ آخَرِينَ، وَهَذَا صَحِيحٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَالْعِلْمُ فِي الصِّغَرِ أَثْبَتُ فَيَنْبَغِي الِاعْتِنَاءُ بِصِغَارِ الطَّلَبَةِ لَا سِيَّمَا الْأَذْكِيَاءِ الْمُتَيَقِّظِينَ الْحَرِيصِينَ عَلَى أَخْذِ الْعِلْمِ، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْعَلَ عَلَى ذَلِكَ صِغَرُهُمْ أَوْ فَقْرُهُمْ وَضَعْفُهُمْ مَانِعًا مِنْ مُرَاعَاتِهِمْ، وَالِاعْتِنَاءِ بِهِمْ".

الرابع: البدء بالاستعاذة ثم القرآن، ثم الصلاة على الرسول، ثم الدعاء له وللمسلمين:

لقد احتل القرآن أهمية قصوى في المناهج في العصور الإسلامية المختلفة، بداية من مرحلة الكتاب، وانتهاء بمرحلة الإجازة للعمل بمهنة التدريس، ومن هنا ينصح الفكر التربوي الإسلامي المعلمين أن يكون القرآن الكريم هو البداية لكل درس يعطونه لطلابهم.

يقول ابن جماعة ناصحاً المعلمين:" أن يقدم على الشروع في البحث والتدريس قراءة شيء من كتاب الله تعالى؛ تبركا وتيمنا". ويبدو أن البدء بقراءة القرآن الكريم في بداية الدرس كانت موضع اهتمام عديد من المفكرين، حيث ينصح السمعاني المملى أن:" يفتتح بقراءة سورة من القرآن. روى عن أبى نضرة قال: " كان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا اجتمعوا ليذكروا العلم قرأوا سورة".

فإذا انتهى من القرآن على المعلم ألا يبدأ الدرس إلا بعد الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وأن يسمى الله – تعالى – ويحمده ويصلى على النبي –صلى الله عليه وسلم– وعلى آله وأصحابه، ويدعو الله بأن يرضى عن المسلمين وعن مشايخه – أساتذته بالمفهوم المعاصر – ثم يدعو لنفسه ولوالديه وللحاضرين.

وهذا البدء بالقرآن والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، والاستعاذة، ثم الدعاء للمسلمين قد يبدو غريبا في العصر الحالي، ولكن الفكر التربوي الإسلامي حث عليها وأمر بها، وقد اشتق هؤلاء العلماء هذه البداية للدرس من أقوال الرسول – صلى الله عليه وسلم – والقرآن الكريم؛ حيث أوجبا البدء بالاستعاذة والتسمية والاهتمام بالقرآن في بداية مجلس العلم.

الخامس: إذا تعددت الدروس يقدم الأهم فالأهم:

نظرا لأن الدروس تختلف فيما بينها من حيث الأهمية، أومن من حيث السهولة والصعوبة، فقد وجه الفكر التربوي الإسلامي نظر المعلم إلى مراعاة ذلك، فيقدم الأهم من الدروس ثم الأقل أهمية، وذلك حتى تحصل الفائدة، فيقدم القرآن، ثم الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم الخلاف والنحو والجدل.

وكأن ابن جماعة يوجه المعلم عند ترتيب الجدول الدراسي المعمول، به عليه أن يرتبه حسب أهمية العلوم. ونظرا لسيادة النزعة الدينية في فكر العلماء المسلمين، وجدنا ابن جماعة يعطى المثل بالعلوم الدينية التي كانت سائدة في عصره، أما اليوم فينبغي أن تقدم حصص التربية الإسلامية – على سبيل المثال – على ما عداها من الحصص بدلا من تأخيرها حتى نهاية اليوم الدراسي.

والعلوم مرتبةٌ ترتيبا مُتصاعِدًا, وبعضها طريقٌ إلى بعض, وهذا هو السببُ في ترتيب المراحل الدراسية والصفوف، ابتداءً من الصفِّ الأول الابتدائي وما بعده حتى المرحلة الجامعية, وهذا التدرُّج يكون في أيّ فنٍّ من فنون العِلم، العُلوم الشرعيّة، والعُلوم الطبيعيّة، لِذا صار من الأهميّة بمكان للمعلِّم أن يولي هذا الأمر جانِبًا من اهتِمامِه، فلا يُلقي العُلوم جُملةً واحدة، ولكن يبدأُ بالتدرُّج من المهمّ إلى الأهمّ، لِذا فإنّ الإمام ابن مُفلح – رحمه الله – أشار إلى رأي الإمام أحمد بأن يبدأ الصغير أوّلًا بتعلُّم القرآن كيْ يتعوّد القِراءة فتكونُ كالمِفتاحِ لغيرِها"0

ومن خلال الربط بين هذا القول وما استجد في العصر الحديث من علوم، يتضح أن البرنامج المدرسي صار يتقلب حسب أحوال الزمان والحوائج والدواعي الطارئة على الإنسان حينا بعد حين وقرنا بعد قرن، فالعلوم التي كانت رائجة وكثيرة الفائدة في الماضي كسدت أسواقها في العصور الوسطى، كما إن العلوم والفنون المنقولة من الماضي والتي كانت مقبولة بين أهلها، أصبحت مهجورة في الأيام التالية، لذلك على كل صاحب عقل راجح سليم وطبع رشيد أن يعتنى بأشرف العلوم وأفضل الفنون.

بعد ذلك يوجه الفكر التربوي الإسلامي نظر المعلم إلى ضرورة مراعاة طبيعة المتعلمين والمحافظة على نشاطهم في أثناء الدرس، إذ عليه أن يتوسط في الشرح، فلا يطيل تطويلا يؤدى بطلابه إلى الملل، ولا يقصر تقصيرا يؤدى إلى الإخلال بالمعنى، والمعلم إذ يقوم بذلك إنما يراعى مصلحة أو حال الطلاب، فيطيل في الموضع الذي يتطلب الإطالة، ويختصر في الموضع الذي يحتاج إلى الاختصار.

السادس: ألا يرفع صوته بأكثر مما يحتاج إليه السامعون:

قَالَ تَعَالَى: وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (لقمان19) ، أَيْ اُنْقُصْ مِنْهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ غَضَضْت بَصَرِي وَفُلَانٌ يَغُضُّ بَصَرَهُ

مِنْ فُلَانٍ "إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْـــوَاتِ" ،أَيْ أَقْبَحَ يَقُولُ أَتَانَا فُلَانٌ بِوَجْـهٍ مُنْكَرٍ أَيْ قَبِيحٍ وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: تَأْوِيلُهُ أَنَّ الْجَهْرَ بِالصَّوْتِ لَيْسَ بِمَحْمُودٍ وَأَنَّهُ دَاخِلٌ فِي بَابِ الصَّوْتِ الْمُنْكَرِ وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: عَرَّفَهُ قُبْحَ رَفْعِ الْأَصْـوَاتِ فِي الْمُخَاطَبَةِ بِقُبْحِ أَصْـوَاتِ الْحَمِيرِ؛ لِأَنَّهَا عَالِيَةٌ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ لَوْ كَانَ رَفْعُ الصَّـوْتِ خَيْرًا مَا جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْحَمِيرِ، وَقَالَ سُـفْيَانُ الثَّوْرِيُّ صِـيَاحُ كُلِّ شَـيْءٍ تَسْبِيحُ لِلَّهِ إِلَّا الْحِمَارَ فَإِنَّهُ يَنْهَقُ بِلَا فَائِدَةٍ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ وَغَيْرُهُ".

ولا شـك أن صـوت المعلم وتغيير نبرات الصـوت له أهميته العظمى في جذب انتباه الطلاب والتأثير فيهم. ويرتبط هذا الأدب بهيبة المعلم وثقته في نفســـه، لذلك كان على المعلم أن يعتدل في صـوته، فلا يرفعه بما يزيد عن حاجة الطلاب، ولا يخفضـه إلى حد ينصرف عنه طلابه.

ورفع الصـــوت بالعلم اختلف فيه العلماء:" عن أشـــهب قال: ســـئل مالك عن رفع الصـوت في المسـجد بالعلم وغيره قال: لا خير في ذلك ولا في غيره، ولقد أدركت الناس قديما يعيبون ذلك على من يكون في مجلسه، ومن كان ذلك في مجلسه كان يعتذر منه، وأنا أكره ذلك ولا أرى فيه خيرا". أما أبو حنيفة فقد أجاز رفع الصـوت بالعلم إن اقتضـت الضـــرورة ذلك:" عن ســـفيان بن عيينة قال: مررت بأبي حنيفة وهو مع أصـــحابه في المسـجد وقد ارتفعت أصـواتهم فقلت يا أبا حنيفة هذا في المسـجد والصـوت لانبغى أن يرفع فيه فقال: دعهم فإنهم لا يفقهون إلا بهذا".

ويرتبط برفع أو خفض الصـــوت أن يعيد المعلم كلامه حتى يفهم منه: " وقد روى أن كلام رسول الله – صـلى الله عليه وسلم – كان فصـلا يفهمه من سمعه، وإذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا؛ لتفهم عنه". و" عن أبي بكرة – رضـي الله عنه – قال: قال النبي – صـلى الله عليه وســـلم –: " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُـــولَ اللهِ، قَالَ:

الْإِشْـرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ".

واِسـتخدامُ التّكرارِ عِندَ عرضِ المعلومة؛ لأنّ هذا ممّا يُسـاعِدُ المتعلِّمَ على اِسـتيعابِ الدّرس، وقدْ ذكرَ ذلِك ابن مفلح – رحمه الله– في فصـلِ هديِ رسـولِ الله – صـلى الله عليهِ وسـلَّمَ – في الكلام، ولا ريبَ أنّ رسـولَ اللهِ – صـلى الله عليه وسـلّم – هو المعلِّمُ الأوّل، ومِنْ سـيرتِهِ – عليه الصّـلاة والسّـلامُ – تُسـتقى الآدابُ كلُّها، فذكرَ المصـنِّفُ – رحمه الله – في هذا الفصـلِ ما جاءَ في البخاريّ عنْ: "أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ أَنَّهُ كَانَ "إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ فَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ ثَلَاثًا" .

الخلاصـــــة في هذا الأمر أن على المعلم مراعاة طبيعة المتعلم، وطبيعة الموقف؛ بحيث يكون رفع الصـوت وخفضـه مناسـبا لكليهما، ويحقق فائدة تعليمية للمتعلم، بحيث لا يزيد الصـــوت على قدر الحاجة، فيكون ذلك أدعى إلى ذهاب هيبة ووقار المعلم ولا يكون أقل مما يحتاج إليه فتقل الفائدة.

السابع: أن يحافظ على آداب المجلس:

لمجلس العلم وقاره واحترامه المسـتمد من وقار العلم وعلو منزلته ورفعة شـأنه، وهذا يوجب على كل من المعلم والمتعلم المحافظة على آداب مجلس العلم، وصـيانته من كل ما يؤدى إلى الإسـاءة إلى المجلس، كرفع الصـوت دون داع، أو الحدة في المناقشـة، أو التعصب لرأى من الآراء مقابل رأى مجموعة أخرى.

لذا على المعلم أن يصـون مجلسـه عن الغلط؛ فإن اللغط تحته، وعن رفع الأصـوات واختلاف وجهات البحث. قال الربيع: كان الشافعي إذا ناظره إنسان في مسألة فغدا إلى غيرها يقول: نفرغ من هذه المسـألة ثم نصـير إلى ما تريد، ويتلطف في دفع ذلك في مباديه قبل انتشاره وثوران النفوس. ويذكر الحاضرين بما جاء في كراهة المماراة، لا سيما

بعد ظهور الحق، وأن مقصـــود الاجتماع ظهور الحق وصـــفاء القلوب، وطلب الفائدة. وأنه لا يليق بأهل العلم تعاطي المنافسـة والشـحناء؛ لأنها سـبب العداوة والبغضـاء، بل يجب أن يكون الاجتماع ومقصودة خالصاً لله تعالى؛ ليثمر الفائدة في الدنيا والسعادة في الآخرة، ويتـذكر قولـه تعـالى: "لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِـلَ الْبَـاطِـلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ" (الأنفال: 8)، فإنه يفهم أن إرادة إبطال الحق أو تحقيق الباطل صفة إجرام فليحذر منه.

إن مجلس العلم وما يدور فيه من مناقشـــات يجب أن تكون في حدود أدب المجلس ولا تخرجه عن حدود اللياقة وأدب الحوار؛ إذ الهدف من المناقشـــة والحوار هو ظهور الحق وصـفاء القلب، وتحقيق الاسـتفادة، ولا يليق بأهل العلم أن تسـود بينهم المنافسـة والشـــحناء؛ لأنها الســـبب الأول المؤدى إلى العداوة والبغضـــاء، إنما يجب أن يكون اجتماعهم خالصا لوجه الله تعالى؛ حتى تتم الفائدة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

وهذا الأدب الخاص بالمجلس، كما أكد عليه ابن جماعة بالنســـبة للمعلم طالبا منه المحافظة على مجلسه، فلا يخلطه بما لا يتفق ومنزلة العلم، نجده – أيضا – يركز على هذا الأدب بالنسبة لطالب العلم، حيث يأمره بالمحافظة على أدب المجلس.

يقول ابن جماعة موجها كلامه لطلاب العلم: " أن يتأدب مع حاضري مجلس الشيخ؛ فإنه أدب معه، واحترام لمجلســه، وهم رفقاؤه، فيوقر أصــحابه، ويحترم كبراءه وأقرانه ولا يجلس وســـط الحلقة ولا قدام أحد إلا لضـــرورة، كما في مجالس التحديث ولا يفرق بين رفيقين ولا بين متصـــاحبين إلا بإذنهما معا ولا فوق من هو أولى منه، ولا يعطى أحدا منهم جنبه ولا ظهره، ويتحفظ من ذلك، ويتعهده عند بحث الشيخ له، ولا يجنح على جاره أو يجعل مرفقه قائما في جانبه، أو يخرج عن نسق الحلقة بتقديم أو تأخر".

الثامن: عقاب من ظهر منه سوء أدب:

قضـية الثواب والعقاب من القضـايا التي نالت اهتمام المفكرين المسـلمين، وقد كانت لهم آراء سـديدة في هذا الجانب، وفى البداية ينبغي التأكيد على أن التربية الإسـلامية عندما أشارت إلى استخدام أسلوب العقاب، إنما أشارت إليه لا بقصد التشفي أو الانتقام من الطالب المخطئ، ولا لكي يتلذذ المعلم بعقاب الطلاب، وإنما أشـارت إلى العقاب كأسـلوب تربوي يسـهم في تهذيب سـلوك الطلاب وتقويم أخلاقهم، وذلك إذا اسـتخدمه المعلم وفق الشروط التي وضعها الفكر التربوي الإسلامي.

وقد عقد ابن خلدون فصـلا في المقدمة بعنوان: " في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم" بين فيه أن العقاب قد يأتي بنتيجة عكسـية على المتعلمين، حيث يقرر أن من كان مرباه بالشـدة والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سـيغلب عليه هذه القهر، ويضـيق على نفسـه في انبسـاطها، ويذهب نشـاطها، ويدعوه إلى الكسـل، ويحمله على الكذب والتظاهر بغير ما هو في نفسـه؛ خوفا من أن تمتد إليه الأيدي بالضـرب، كما إن العقاب يعلمه المكر والخديعة حتى تصـبح له عادة وخلقا، وتفسـد عنده كل معاني الإنسـانية التي هي له، مثل الحمية والدفاع عن نفسـه ومنزله؛ حتى يصـير عيالا على غيره في ذلك، وتكل نفسـه عن اكتسـاب الفضـائل والأخلاق الجميلة، وبالتالي تبتعد عن إنسانيتها وتعود إلى أسفل سافلين.

لا شـك أن مسـاوئ العقاب التي ذكرها ابن خلدون، أدعى إلى أن يتخذ المعلمون أسلوبا يعالجون به أخطاء المتعلمين، فقد يستعذب بعض المتعلمين الضرب لدرجة:" أن تكرار الضـرب بالنسـبة للمذنب يصـيبه بالبلادة، والاسـتهانة بالعقاب، والعناد، والإصـرار على ذنبه ". لذلك يجدر بمعلمي اليوم أن يقرأوا جيداً تلك المسـاوئ التي ذكرها ابن خلدون في مقدمته، والتي تنتج عن هذا الاستخدام الخطأ لأسلوب العقاب.

والهدف الأول الذي ينال المتعلم العقاب بسببه ليس ضعف التحصيل عنده؛ إذ الأفراد متفاوتون في هذا الجانب ولكن؛ لأن التربية الإســـلامية تعطى الاهتمام الأكبر للجانب الخلقي، كان الثواب والعقاب موجها – في الأساس – لإصلاح الجانب الخلقي، وهـــذا يتضـح من تحديد ابن جماعة للطالب المسـتحق للعقاب، فهو الذي يتعدى في بحثه، أو الذي يظهر منه العداوة في أثناء البحث، أو سـوء الأدب، أو الذي لا ينصـاع للحق بعد ظهوره، ويكثر الصـياح بغير فائدة، أو الذي أساء الأدب مع الحاضـرين أو الغائبين، أو الذي يخل بأدب الطالب في مجلس العلم. ويتضـــح من هذه الأســـباب، أن العقاب إنما يستخدم لتقويم أخلاق المتعلمين.

ويرى القابســـي أن الغاية التي يُريد أن يصِـــل إليها هي رياضـــة الصـــبيان، ولا بأس بالعقاب بشرط ألا يكون انتقامًا، ولا يكون الانتقام إلا إذا ثار الغضب في النفس، وتمكن منها. وليس هذا موضع الغضب والانتقام، وإنما هو موضع التأديب والتهذيب.

ومن أغراض العقوبة في الإســلام عِظة الغير، وقيل في المثَل الســائر: "السـعيد من اتعظ بغيره"، ومعنى ذلك أن الضــرب الذي يوقع على الصــبي، يكون عِظة وعبرة لغيره من الصبيان، إلى جانب ما في عقوبة الضرب من زجر للصبي المضروب.

ولا يرى ابن سـينا — وهو من الفلاسـفة — بالضـرب بأسًـا، وفي ذلك يقول بصـدد سـياسـة الرجل ولده: "فإن احتاج إلى الاستعانة باليد لم يُحجَم عنه. وليكن أول الضـرب قليلًا مُوجعًا، كما أشـار به الحكماء بعد الإرهاب الشـديد. فإن الضـربة الأولى إذا كانت مُوجِعة ســاء ظن الصــبي بما بعدَها واشــتدَّ منها خوفه. وإذا كانت الأولى خفيفة غير مؤلمة حسُن ظنه بالباقي فلم يحفل به".

فإذا كان لابد من عقاب المتعلم، فإن الفكر التربوي الإسلامي قد وضع ذلك في حدود معينة، ووضع له الشروط التي تجعل من العقاب وسيلة من وسائل الإصلاح للمتعلم. وتتمثل شروط العقاب في الفكر التربوي الإسلامي فيما يلي:

الشرط الأول:

أن تتفق العقوبة وشخصية المتعلم وسماته الخاصة، فهي التي تحدد أسلوب العقاب المتبع، فمنهم من ينفع معه اللين، ومنهم من تؤتى معه الشدة بنتائج إيجابية.

يبين ابن الجزار القيرواني أن على المعلم مراعاة طبيعة المتعلمين، وبعدها يستخدم أسلوب العقاب المناسب لشخصيته، فإذا كان الصبي ذا طبيعة جيدة؛ بأن يكون طبعه الحياء وحب الكرامة والألفة ومحبا للصدق، فإن تأديبه يكون سهلا، فقد يأتي المدح أو الذم معه بنتيجة قد لا نحصل عليها بالعقاب، أما إن كان الصبي قليل الحياء مستخفا للكرامة، قليل الألفة، محبا للكذب، فإن تأديبه يكون عسيرا، ولابد لمن هذه صفاته من الارهاب والتخويف عند الإساءة، ثم الضرب إذا لم ينجح التخويف.

الشرط الثاني:

ألا يتجاوز الضرب ثلاث ضربات إلا بإذن ولى الأمر، يقول ابن سحنون:" ولا بأس أن يضربهم على منافعهم، ولا يجاوز بالأدب ثلاثا، إلا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آذى أحدا، ويؤدبهم على اللعب والبطالة، ولا يجاوز بالأدب عشرة، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ الْأَنْصَارِيِّ (رضي الله عنه): أَنَّهُ سَمِعَ النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ: لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشَرَةِ أَسْوَاطٍ، إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ".

وجاء في كتاب (آداب المعلمين) لمحمد بن سحنون: "عن ابن عباس قال: قال رسول الله: "أشرار أُمَّتي مُعلمو صبيانهم أقلهم رحمة لليتيم وأغلظهم على المسكين". قال محمد (أي ابن سحنون): وإنما ذلك لأنه يضربهم إذا غضب، وليس على منافعهم؛ ولا بأس أن

يضــربهم على منافعهم، ولا يجاوز بالأدب ثلاثا، إلا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آذى أحدا، ويؤدبهم على اللعب والبطالة، ولا يجاوز بالأدب عشرة".

وأشار القابسي إلى استشارة والد الصبي إذا استحق العقاب زيادة عن ثلاث ضربات. وإذا بلغ الأمر حدَّ إخبار آباء الصـبيان واسـتشـارتهم، فإن المسـألة لن يحوطها الكتمان، وإنما تخرج إلى العلانية، فيعلَم بها جميع الصــبيان. وفي هذا عظة لهم؛ لأنهم يخشــون عقاب الآباء أكثر من خشيتهم عقاب المعلم.

الشرط الثالث:

ألا يحدث الضرب أثرا في جسم المتعلم: يقول القابسي في ذلك:" وصفة الضرب هو ما يؤلم ولا يتعدى الألم إلى التأثير المشـنع أو الوهن المضـر، وليتجنب أن يضـرب رأس الصـبي أو وجهه، فإن سـحنون قال فيه: لا يجوز له أن يضـر به، وضـرر الضـرب فيها بيّن، قد يوهن الـدمـاغ، أو تطرف العين أو يؤثر أثرا قبيحـا، فليجتنبـا، فـالضـــــرب في الرجلين آمن، وأحمل للألم في سلامه".

والعِلة في الضــرب التي لجأ إليها الفقهاء، كما لجأ إليها الفلاســفة والحكماء، هي ما يصــحب الضــرب من ألم، وما يصــحب ذلك من خوف الألم. وفي ذلك يقول الغزالي: "والأصـلح للبهيمية ألا تخلو عن سوطٍ وكذا الصـبي، ولكن ذلك لا يدل على أن المُبالغة في الضرب محمودة".

كما ذكر الغزالي: أما المُبالغة في الضـــــرب فغير محمودة؛ لأنها تؤدي إلى البلادة، وانعدام الألم الذي به يتم الانصـراف عن الأفعال القبيحة؛ ذلك أن الزيادة في الضـرب لا تتناسَب تناسُبًا رياضيًّا مع الزيادة في الألم كما هو معروف في علم النفس.

الشرط الرابع:

وهو خاص بأداة الضـرب، ومواضـعه، يقول المغراوي:" ولا يضـرب صـبياً بعصـى غليظة تكسـر العظم، ولا رقيقة تؤلم الجسـم، بل تكون وسـطاً، ويتخذ مجلداً عريض السير، ويعتمد بضربه على اللوايا والأفخاذ وأسافل الرجلين؛ لأن هذه المواضع لا يخشى منها مرض ولا غائلة". ولا شك أن اتباع المعلم لآراء الفكر التربوي الإسلامي في مسألة العقاب يمكن أن يؤدى إلى تهذيب طلابه وتقويم أخلاقهم.

وذكر شمس الدين الإنبابي – وهو أحد الفقهاء – ويجب في السوط أن يكون مُعتدل الحجم، فيكون بين القضـيب والعصـا؛ وأن يكون معتدل الرطوبة، فلا يكون رطبًا يشـق الجلد لثقله، ولا شـديد اليبوسـة فلا يؤلِم لخفته. ولا يتعيَّن لذلك نوع بل يجوز بسـوط وهي سيور تُلوى، وبِعُود، وخشبة، ونعل، وطرف ثوب بعد فتلِه حتى يشتد".

الشرط الخامس: ألا يعاقب في أثناء الغضب:

القصـة التي ذكرَها القابسـي: عن عُمر بن عبد العزيز – رضـي الله عنه – الذي أمر بضـرب إنسـان، ثم قال اتركوه بعد أن أُقيم للضـرب؛ لأنه كرِه أن يضـربه وهو غضـبان، في هذه القصة دليل آخر على أن العقوبة في الإسلام لا ينبغي أن تكون انتقامية.

والتربية وعِلم النفس الحديثان لا يُقرِّران جديدًا يختلف عما قرَّره القابسـي، وما هو ثابت عند فقهاء المسلمين. وقد جاء وصف آثار الغضب النفسية والجسمية، وما يؤدي إليه من شهوة الانتقام في كثيرٍ من الكتب الفقهية.

وقال الغزالي بعد كلامٍ يصِـف ما يُصـيب ملامح الوجه، وحالة الجسـم في سـاعة الغضب: "فيحمرُّ الوجه والعين، والبشرة لصفائها تَحكي لون ما وراءها من حُمرة الدم كما تَحكي الزجاجة لون ما فيها. وإنما ينبسط الدم إذا غضِب على مَنْ دونه واستشعر القُدرة عليه. فإن صـدر الغضـب على مَنْ فوقه كان معه يأسٌ من الانتقام ... وبالجُملة فقوَّة

الغضـــب محلها القلب، ومعناها غليان دم القلب بطلَب الانتقام. وإنما تتوجَّه هذه القوَّة عند ثَوَرانها إلى دفع المؤذِيات قبل وقوعها، وإلى التشــفِّي والانتقام بعد وقوعها، والانتقام قُوت هذه القوة، وفيه لذَّتُها، ولا تسكن إلا به".

وفي هذه الشــروط المُقيِّدة للضــرب مُراعاةٌ لمصــلحة الصــبي إلى أقصــى الحدود، واقتصـاد شـديد في هذه العقوبة البدَنية المَرذولة. فالمُعلم لا يلجأ إلى الضـرب إلا بعد أن يستنفِد جميع وسائل الوعظ والتنبيه والتهديد والتخويف، فإذا استحقَّ الصبي الضرب بعد ذلك كله فلا بأس من الضرب، وإذا زاد على ثلاث ضربات فلا بدَّ من استئذان ولي أمر الصبي، هذه هي العدالة، ولكنها إلى الرِّفق أمْيَل منها إلى الشدة.

التاسع: أن يقول عندما لا يعلم لا أدرى أو لا أعلم:

ينظر الفكر التربوي الإســـلامي إلى المعلم على أنه مازال في مرحلة التعلم، ومازال يطلب مزيدا من العلم؛ فهو لا يعلم كل شيء، ولا يدعى أنه احاط بكل شيء علما، وهو في ذلك متبع لقول الملائكة، وسيرة الرسول – صـلى الله عليه وسلم –، وسيرة العلماء المســلمين. فعندما علم الله آدم الأســماء، عرضــها على الملائكة ولكنهم لم يدعوا العلم بها، يقول تعالى:" عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَـهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَــادِقِينَ (31) قَالُوا سُــبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)" (البقرة).

وعندما سئل النبي – صـلى الله عليه وسلم – عن أفضل البقاع قال لا أدرى، وعندما وجه السؤال نفسه إلى جبريل عليه السلام قال لا أدرى حتى أسأل الله تعالى:" عن ابن عمر قال: جاء رجل إلى النبي – صـلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله أي البقاع خير؟ قال: لا أدري. فقال: أي البقاع شر؟ قال: لا أدري. قال سل ربك. فأتاه جبريل – صـلى الله عليه وسـلم – فقال: يا جبريل أي البقاع خير؟ قال: لا أدري، قال: أي البقاع

شـر؟ قال: لا أدري. فقال: سـل ربك فانتفض جبريل انتفاضـة كاد يصـعق منها محمد صلى الله عليه وسلم، وقال: ما أسأله عن شيء، فقال الله – عز وجل – لجبريل سألك محمد أي البقاع خير؟ فقلت: لا أدري وسألك أي البقاع شر؟ فقلت: لا أدري. فأخبره أن خير البقاع المساجد، وشر البقاع الأسواق".

وكانت سـيرة الصـحابة والتابعين تسـير على هذا النهج، لم يكن أحدهم يدعى علمه بكل شيء برغم ما وصلوا إليه من علم:" قال عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه –: من سئل عما لا يدري فقال لا أدرى فقد أحرز نصف العلم". "وقال على بن أبى طالب – رضـى الله عنه –: وما أبردها على القلب إذا سئل أحدكم فيما لا يعلم أن يقول الله أعلم. إن العالم من عرف أن ما يعلم فيما لا يعلم قليل".

وينبغي على المعلم أن يقولَ للشـيء الّذي لا يعلمُه (لا أَعْلَمُ) يَقُولُ ابنُ مُفلح – رحِمهُ اللهُ –:"قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: – رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – "إذَا تَرَكَ الْعَالِمُ لَا أَدْرِي أُصِـيبَتْ مَقَاتِلُهُ" وَكَذَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ حُسَـيْنٍ، وَقَالَ مَالِكٌ: "كَانَ يُقَالُ إذَا أَغْفَلَ الْعَالِمُ لَا أَدْرِي أُصِـيبَتْ مَقَاتِلُهُ"، وَقَالَ – أَيْضًا – "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إمَامَ الْمُسْلِمِينَ وَسَيِّدَ الْعَالَمِينَ يُسْـأَلُ عَنْ الشَّـيْءِ فَلَا يُجِيبُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ مِنْ السَّـمَاءِ"، وَقَالَ الشَّـعْبِيُّ لَا أَدْرِي نِصْـفَ الْعِلْمِ"، وقال في موضِـعٍ آخرَ: "وَصَـحَّ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: ذُلٌّ وَإِهَانَةٌ لِلْعِلْمِ أَنْ تُجِيبَ كُلَّ مَنْ سَـأَلَك" وَقَالَ أَيْضًـا: "كُلُّ مَنْ أَخْبَرَ النَّاسَ بِكُلِّ مَا يَسْـمَعُ فَهُوَ مَجْنُونٌ"، وقال أيضًا: "وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ إنَّ مِنْ إكْرَامِ الْمَرْءِ لِنَفْسِهِ أَنْ لَا يَقُولَ إلَّا مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ". وينبغي على المعلّم أنْ يترُكَ العَجَلةَ في الإجَابَة، يقولُ ابنُ مُفلِحٍ –رحمهُ اللهُ–:"وَكَانَ يُقَالُ التَّأَنِّي مِنْ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنْ الشَّيْطَانِ".

إن عمل المعلم يعد أمانة ينبغي عليه أن يؤديها على الوجه الأكمل، ولا يدعى ما لا يعلم؛ حتى لا يخون هذه الأمانة، يقول ابن جماعة ناصحا المعلم: " وإذا سئل عما لم يعلمه قال لا أعلمه أو لا أدرى، فمن العلم أن يقول لا أعلم، وعن بعضهم لا أدرى نصف العلم، وعن ابن عباس – رضى الله عنهما – إذا أخطأ العالم لا أدرى أصيبت مقاتله، وقيل ينبغي للعالم أن يورث أصحابه لا أدرى لكثرة ما يقولها".

ويوجه ابن جماعة نظر المعلم بأنه عندما يقول لا أدرى أو لا أعلم، فإنه بذلك لا يقلل من شانه كما يعتقد بعض الجهلاء، ولكن هذا القول يعلى شأنه، فهو دليل على عظم قدره، وقوة دينه، وتقوى ربه، وطهارة قلبه، وكمال معرفته وتثبيته، أما الذى يأنف من قول لا أدرى فهذا دليل على ضعف دينه، وقلة معرفته، فهو يخاف من سقوطه في أعين الحاضرين، وهذا جهل، وربما ذاع خطأوه بين الناس فيقع فيما خاف منه، ويتصف عندهم بما كان يحذر منه، وقد أدب الله – سبحانه تعالى – العلماء بقصة موسى مع الخضر عليهما السلام، عندما لم يرد موسى – عليه الصلاة والسلام – الأمر إلى الله تعالى عندما سئل عما إذا كان هناك أحد في الأرض أعلم منه عليه السلام. وقال تعالى: "وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا" (الإسراء 85).

وقول المعلم لطلابه لا أدرى أو لا أعلم لا يقلل من شأنه في أذهان الطلاب، ولا ينظرون إليه على أنه لا يعلم، ولكنه يورث الطلاب احترام المعلم؛ فهو إنسان متواضع لا يدعى العلم بكل شيء، وفى المقابل إذا اكتشف الطلاب خطأ بعض المعلومات التي ادعى المعلم معرفته بها حتى يخرج نفسه من موقف ما، إذا اكتشف الطلاب ذلك كان فيه تقليل من شأن المعلم.

العاشر: أن يتودد لغريب حضر عنده وينبسط له لينشرح صدره:

يقول ابن جماعة ناصحاً المعلم: "أن يتودد لغريب حضر عنده ويبسط له لينشرح صدره، فإن للقادم دهشة، ولا يكثر الالتفات والنظر إليه استغراباً له، فإن ذلك يخجله، وإذا أقيل بعض الفضلاء وقد شرع في مسألة امسك عنها حتى يجلس، وإن جاء وهو يبحث في مسألة أعادها له أو مقصودها، وإذا أقبل فقيه وقد بقي لفراغه وقيام الجماعة بقدر ما يصل الفقيه إلى المجلس، فليؤخر تلك البقية ويشتغل عنها ببحث أو غيره إلى أن يجلس الفقيه، ثم يعيدها أو يتم تلك البقية؛ كيلا يخجل المقبل بقيامهم عند جلوسه.

وفى هذا الأدب مع الطلاب الجدد ينصح ابن جماعة المعلم بأن يحسن مقابلة الطلاب الغرباء، فإن كان الطالب الغريب خجولا، فلا ينبغي على المعلم أن يطيل النظر إليه حتى ينتهي خجله، أما إن كان الغريب ممن يكثر الكلام، فيتوقف المعلم عن الدرس؛ حتى يجلس هذا الغريب ثم يواصل المعلم درسه بعد ذلك.

وقد كانت هذه هي سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – حيث كان يتودد للغرباء ويحسن إليهم، فقد ترك خطبة الجمعة ذات مرة للرد على سؤال من غريب حضر عنده يسأل عن أمر دينه.

يَرْوي أبو رِفاعةَ العَدويُّ – رَضِي اللهُ عنه – أنَّ النَّبيَّ – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم – كانَ يَخطُبُ بالنَّاسِ يومًا، فجاءَ إليه أبو رِفاعةَ رَضِي اللهُ عنه، فقالَ: "يا رسولَ اللهِ، رجلٌ غريبٌ"، والغريبُ هو: البَعيدُ عن وَطنِهِ، "جاءَ يَسألُ عن دِينِه"؛ أي: عن أُمورِ الإسلامِ وشَرائعِه، "ولا يَدري ما دِينُه"؛ وذلكَ لأنَّه لم يُعلِّمْه أحدٌ، فأقبَلَ علَيهِ رسولُ اللهِ – صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم – وترَكَ خُطبتَه، ثمَّ مَشَى حتَّى انتَهى إلى أبي رِفاعةَ رَضِي اللهُ عنه، فجاءَه الصَّحابَةُ بكُرسيٍّ ظنَّ أبو رِفاعةَ أنَّ قَوائمَهُ مِن حَديدٍ، فقَعَدَ علَيهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم؛ وذلكَ حتَّى يَراهُ الصَّحابةُ فيَتعلَّموا منه، وبَدَأ يُعلِّمُ أبا رِفاعةَ – رَضِي اللهُ

عنه – مِن أُمورِ الإســـلامِ الَّتي يَحتاجُها، ثمَّ بعْدَ أنِ انتَهى مِن تَعليمِه، رجَعَ إلى مَكانِه وأكمَلَ خُطبتَه إلى آخِرَها.

ولا شــك أن ذلك أدعى إلى راحة المتعلم نفســيا؛ حتى يقبل على هذا الموقف الجديد وكأنه معتاد عليه، ويقبل على هؤلاء الزملاء الجدد، وكأنه يعرفهم منذ زمن بعيد؛ وحتى ينشرح صـدره، ويألف المعلم ويألف زملاءه الجدد، كما إن على المعلم ألا يكثر الالتفات والنظر إليه؛ حتى لا يؤدى ذلك إلى خجله.

الحادي عشر: أن يقول عند نهاية الدرس ما يشعر بختم الدرس، وأن يقول عند الختم والله أعلم:

إن المعلم في الفكر التربوي الإسـلامي يدرك أن علمه محدود، وهو يقرر هذه الحقيقة بعد الانتهاء من درسـه، كما إنه لا ينهى درسـه فجأة، وإنما يمهد للانتهاء من الدرس بما يشعر المتعلمين ذلك.

حيث يجب على المعلم أن يوكل أمر العلم إلى الله تعالى، فيقول في نهاية الدرس: الله أعلم، وعليه ألا ينهى درسه فجأة بل عليه أن يمهد لذلك، بأن يقول كلاما يشعر بختم الدرس مثل هذا آخره، أو ما بعده يأتي إن شاء الله تعالى، وقوله الله أعلم ينبغي أن يكون خالصـــا لوجه الله تعالى، وهو بذلك يكون قد اســـتفتح الدرس بذكر الله ونهاه بذكر الله تعالى. وهذا هو المقصـد الأول للعلم في الإسـلام؛ بمعنى أن يكون هذا العلم داعيا إلى معرفة الله تعالى، وخالصا لوجهه.

فالعلم الذي يريده الإسـلام هو العلم الذي يزيد الإنسـان معرفة بالله سـبحانه وتعالى، وبالتالي يجعله أكثر تقربا إليه، وخشـية منه، ومن هنا كان أمر النية فيه أمرا ضـروريا، ولا شك أن بدء الدرس وختمه بذكر الله دليل على توجيه النية لله.

وعلى المعلم إذا انتهى الدرس ألا يسرع بالانصراف بل عليه أن يمكث قليلا؛ لأن في ذلك فوائد متعددة، ومنها عدم مزاحمة الطلاب، وحتى يجيب عن أسئلة الطلاب إن كان لديهم أسئلة، ولعدم الركوب بينهم إن كان يركب، ويستحب له إذا قام من درسه أن يدعو بما ورد عن الحديث الشريف بقوله: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فهو بذلك يكون قد ذكر الله – تعالى – في أول الدرس، وكذلك أنهى درسه بذكر الله تعالى، وهذا يشعر بأنه يقوم بهذه الرسالة تقربا إلى الله سبحانه وتعالى.

إن كيفية إغلاق الدرس لا تقل أهمية عن كيفية فتحه، ومع ذلك في كثير من الأحيان ينفد الوقت لدى المعلم. أو ينظر إلى الساعة، ويرى الطلاب لا يزالون يعملون بجد، وفي هذا الوقت بفكر المعلم في نفسه لماذا يقطع تدفقهم؟ ولكن هناك فوائد مثبتة لأخذ دقيقة واحدة فقط لإنهاء الدرس.

ويقصد بغلق الدرس الأفعال أو الأقوال التي تصدر عن المعلم بقصد إنهاء عرض الدرس نهاية مناسبة، ويهدف ذلك إلى مساعدة التلاميذ على تنظيم المعلومات وبلورتها، ما يتيح لهم استيعاب ما تم عرضه خلال الدرس، ويمكن اعتبار الغلق نشاطا ينهي به الدرس. ومهارة الغلق ليس مجرد تلخيص سريع لمادة الدرس، وإنما يقصد بها مساعدة التلاميذ على إدراك الترابط المنطقي بين عناصر الموضوع الواحد، ويمكن أن يتم ذلك بين الدرس الحالي السابق.

الثاني عشر: ألا يقف موقف التعليم إذا لم يكن متمكنا من المادة العلمية:

يفرض الفكر التربوي الإسلامي على المعلم أن يكون متمكنا من مادته العلمية، وأن يكون على إحاطة كاملة بكل جزئيات تخصصه، بحيث يستطيع أن يعطى لطلابه، وفى الوقت نفسه يكون مستعدا للإجابة عن أسئلة الطلاب.

يقول ابن جماعة محذرا المعلم:" ألا ينتصـــب للتدريس إذا لم يكن أهلاً له ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه... فإن ذلك لعب في الدين، وازدراء بين الناس،" عن أسـماء – رضي الله – عنها: أن امرأة قالت: يا رسول الله، إن لي ضَرَّةً فهل على جُناح إن تشبَّعْتُ من زوجي غير الذي يعطيني؟ فقال النبي صـلى الله عليه وسـلم: المُتَشَـبِّعُ بما لم يُعطَ كلابس ثَوْبَي زُورٍ". " وعن الشبلي:" من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه".

ينبغي على المعلِّم، أن يكون ذا اطِّلاعٍ مســـتمرّ، فتقوى مدارِكُه، ويتمكّنُ مِنَ المادّة العلميّة الّتي يقومُ بتعليمِها، والله تعالى يقولُ في كتابِهِ الكريم: " يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (مريم 12)، جاءَ في تفسيرها عند ابن كثير –رحمه الله تعالى – أيْ: "الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالْجِدَّ وَالْعَزْمَ، وَالْإِقْبَالَ عَلَى الْخَيْرِ، وَالْإِكْبَابَ عَلَيْهِ، وَالِاجْتِهَادَ فِيهِ وَهُوَ صَـــغِيرٌ حَدَثُ السِّـــنّ"، يُشـــيرُ إلى ذلك ابن مفلح – رحمه الله – تعالى فيقول: "وَقَالَ الْأَعْمَشُ: وَقَالَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ قُلْت لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ: كَيْفَ تَعْرِفُ صَحِيحَ الْحَدِيثِ مِنْ خَطَئِهِ؟ فَقَالَ: كَمَا يَعْرِفُ الطَّبِيبُ الْمَجْنُونَ"، وقال في موضـعٍ آخر: "وقال الأعمش: كَانَ إبْرَاهِيمُ صَيْرَفِيَّ الْحَدِيثِ فَكُنْت إذَا سَمِعْت الْحَدِيثَ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا أَتَيْته فَعَرَضْته عَلَيْهِ"، فالمُصـــنِّفُ–رحمه الله– هُنا يُشـــيرُ إلى تمكُّن هَذينِ العَالِمينِ الجليلينِ مِنْ عُلماءِ الحَدِيث، مِنْ مادّتِهِم العِلميّة، ممّا مكّنهم من التخصُّـــص في هذا الفنّ من فُنونِ العِلمِ الشرعيّ.

إن المتعلم ينظر إلى المعلم على أنه يعلم كل شـيء عن مادة تخصـصـه، لذا ينبغي أن يكون المعلم عند حســن ظن المتعلم به في الإحاطة بمادته، لذا ينصـــح ابن جماعة المعلم بأن تكون مادته العلمية غزيرة، يعرف تخصـصـه كل المعرفة وبعمق، وهذا لا يتم إلا بســـعة اطلاع المعلم، وطول اجتماعه مع الثقات من العلماء، وكثرة البحث. بل إن الفكر الإسلامي فرض على المعلم أن يكون همه طيلة حياته أن يتعلم، وأن يزيد رصيده

العلمي ما دام حيا، " قيل لأبى عمرو بن العلاء: هل يحسن بالشيخ أن يتعلم، قال: إن كان يحسن به أن يعيش فإنه يحسن به أن يتعلم".

لذا ينبغي أن يكون المعلم ذا رغبة دائمة في الازدياد من العلم، والإكثار من تحصيله ولا يجب عليه أن يكتفى بأوليات المادة التي تخصص فيها، ويعتقد أن في ذلك ما يكفي لنجاحه في عمله؛ حيث لا يمكن لإنسان أن يدرك حقيقة العلم من المبادئ الأولية منه إلا إذا كان مطلعا على أسرار هذا العلم؛ حتى يمكنه أن يلم به جيدا. لذا فهو دائم الدعاء " فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (طه114).

الثالث عشر: أن يكون عاملاً بعلمه فلا يناقض قولَه فعلُه:

إن العلم والعمل قرينان لا ينفصل أحدهما عن الآخر، والإسلام يفرض على الفرد أن يكون عاملا بما يعلم، يقول الغزالي يجب:" أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يُكذب قوله فعله؛ لأن العلم يدرك بالبصائر، والعمل يدرك بالأبصار وأرباب الأبصار أكثر، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد".

يفرض الإسلام على الفرد أن يكون تعليمه بسيرته وليس بقوله، فقبل أن يقف الفرد موقف المعلم ينبغي عليه أن يبدأ بإصلاح نفسه:" فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه، فإنه كما إن كلام الحكمة يعجب الأسماع، فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم".

وقد أكدت عديد من أقوال السلف الصالح على أهمية وضرورة العمل بالعلم، " وقد ثبت في الأثر أن عمر – رضى الله عنه – قال:" إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم " قالوا: وكيف يكون منافقاً عليماً؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل. " وقال الحسن: لا تكن ممن يجمع علم العلماء ويجرى في العمل مجرى السفهاء".

" قال مالك بن دينار: العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلب، كما يزل الماء عن الصـــفا."، " قال عبدالله بن مســـعود– رضـــي الله عنه – تعلموا فإذا علمتُم فاعملوا."، فقد شـــدد القرآن الكريم على من يعلم ولا يعمل، قال تعالى:" مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْـفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (الجمعة5)، فدور المعلم كقدوة يفرض عليه أن يطابق بين قوله وفعله، فلا يناقض أحدهما الآخر.

قال الغزالي: أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله؛ لأن العلم يدرك بالبصـائر والعمل يدرك بالأبصـار وأرباب الأبصـار أكثر. فإذا خالف العمل العلم منع الرشد، وكل من تناول شيئاً وقال للناس لا تتناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصـهم على ما نهوا عنه فيقولون لولا أنه أطيب الأشـياء وألذها لما كان يسـتأثر به. ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج؟

قال أبو الأسود الدؤليُّ رحمه الله:

يَـا أَيُّـهَـا الـرَّجُـلُ الـمُـعَـلِّـمُ غَـيْـرَهُ هَـلَّا لِـنَـفْـسِـــكَ كَـانَ ذَا الـتَّـعْـلِـيـمُ

تَـصِـفُ الـدَّوَاءَ لِـذِي الـسِّـقَـامِ وَذِي الـضَّـنَـى كَـيْـمَـا يَـصِـــحُّ بِـهِ وَأَنْـتَ سَـــقِـيـمُ

وَأَرَاكَ تُـصْـــلِـحُ بِـالـرَّشَـــادِ عُـقُـولَـنَـا أَبَـدًا وَأَنْـتَ مِـنَ الـرَّشَـــادِ عَـقِـيـمُ

لَا تَـنْـهَ عَـنْ خُـلُـقٍ وَتَـأْتِـيَ مِـثْـلَـهُ عَـارٌ عَـلَـيْـكَ إِذَا فَـعَـلْـتَ عَـظِـيـمُ

ابْـدَأْ بِـنَـفْـسِـــكَ فَـانْـهَـهَـا عَـنْ غَـيِّـهَـا فَـإِذَا انْـتَـهَـتْ عَـنْـهُ فَـأَنْـتَ حَـكِـيـمُ

فَـهُـنَـاكَ يُـقْـبَـلُ مَـا تَـقُـولُ وَيُـقْـتَـدَى بِـالـعِـلْـمِ مِـنْـكَ وَيَـنْـفَـعُ الـتَّـعْـلِـيـمُ

المراجع

القرآن الكريم.

ابن المقفع: الأدب الصغير والكبير، دار صادر، بيروت، 1989.

ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وغرائب الأسفار، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ت.

ابن جماعة (ت 733): تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1354هـ.

ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ط5، دار القلم، بيروت، 1984.

ابن سحنون: آداب المعلمين، نشرها الأهوانى في كتابه التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1983.

ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، جـ1، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام،.1994

ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، جـ2، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام،.1994

ابن عبدربه: العقد الفريد، جـ2، مكتبة الهلال، بيروت، 1986.

ابن قتيبة الدينوري: المختار من كتاب عيون الأخبار، اختيار أحمد عبد المنعم البردونى، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1960.

ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، جـ4، دار الوفاء، المنصورة، د.ت.

أبو الحسن البصري: أدب الدنيا والدين، ط5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1909.

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض،١٤٤٤.

الأجري(ت360): أخلاق العلماء، تحقيق أحمد عبد الرحيم السايح، ط2، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، 1993.

أحمد إسماعيل حجي: نظام التعليم في مصر، دراسة مقارنه، دار النهضة العربية، القاهرة، 1987

أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ1، ط10، مكتبة النهضة، القاهرة، 1933.

أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ2، ط10، مكتبة النهضة، القاهرة، 1935.

أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1375.

أحمد شلبي: التربية والتعليم في الفكر الإسلامي، جـ5، ط10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1992.

أحمد عبد الحميد غراب: " أبو الحسن العامري وآراؤه التربوية "، من أعلام التربية العربية الإسلامية مجـ1، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1988.

أحمد عبد الغفور عطار: آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الإسلامية، دار الفتوح، القاهرة، 1957.

أحمد فؤاد الأهوانى: التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة ،1983.

أسماء حسن فهمي: مبادئ التربية الإسلامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1947.

بدر بن جزاع بن نايف النماصي: آداب المعلم والمتعلم عند الإمام ابن مفلح من خلال كتابه الآداب الشرعية، 2014شبكة الألوكة www.alukah.net.

برهان الإسلام الزرنوجى: تعليم المتعلم طرق التعلم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة، القاهرة، 1986.

ت. ب. نن: التربية مادتها ومبادئها الأولية، ترجمة صالح عبد العزيز ومحمد عطية الإبراشي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948.

الجاحظ (ت 150 –255): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، جـ1، ط5، مكتبة الخانكي، القاهرة، 1985.

جّبور عبد النور: إخوان الصفاء، سلسل نوابغ الفكر العربي – رقم 7، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1983.

جون ديوي: الديمقراطية والتربية، ترجمة منى عفراوى وزكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946.

حاجى خليفة: كشف الظنون في أسامى الكتب والفنون، جـ1، مكتبة المثنى، بغداد د.ت.

حسان محمد حسان: ابن حزم الأندلس: عصره ومنهجه وفكره التربوي، دار الفكر العربي، القاهرة 1964.

حسن إبراهيم عبد العال: " المعلم في فكر الخطيب البغدادي خصائصه ومهاراته "، مجلة التربية، كلية التربية ، جامعة طنطا، يوليو، 1992.

حسن شحاته: التربية الإسلامية، (أسسها ومناهجها في الوطن العربي)، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 1991.

حسن شحاته: تعليم الدين الإسلامي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1994.

حسن عبدالعال: فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض 1985.

حسين عبد العال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.

دعاء اياد سعدو الخشاب: إعداد المعلم في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، مجلة العلم التربوية والنفسية، ع116، الجمعية العراقية للعلوم التربوية والنفسية، 2015.

روبرت رتش: التخطيط للتدريس، ترجمة محمد أمين المفتي وزينب على النجار، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، 1982.

زيد بن عبد المحسن الحسين: " الخليل بن أحمد الفراهيدي: من أعلام التربية العربية الإسلامية، مج مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1988.

سامية عبد الرحمن عبد السلام: القيم الأخلاقية: دراسة نقدية في الفكر التربوي الإسلامي والفكر المعاصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1992.

ساميه عبد الحميد أحمد جبر: التربية عند شيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري كنموذج لفلسفة التعليم في العصر المملوكي في مصر، ماجستير غير منشور، كلية البنات جامعة عين شمس 1989.

سعيد إسماعيل على وآخرون: المدخل إلى العلوم التربوية، عالم الكتب، القاهرة، 1982.

سعيد إسماعيل على: اتجاهات الفكر التربوي الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991.

سعيد إسماعيل على: أصول التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985.

سعيد إسماعيل على: بحوث في التربية الإسلامية، مركز التنمية البشرية والمعلومات، الجيزة، 1987.

سعيد اسماعيل على: رؤية إسلامية لقضايا تربوية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

سعيد إسماعيل على: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986.

سلوى رمضان: التربية الخلقية في الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنوفية، 1981.

السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت ،1981.

سهام العراقي: دراسة لآراء المدرسين بمحافظة الغربية نحو التربية الأخلاقية في المدارس، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة طنطا، 1976.

سوادي عبده محمد: " لمحات تاريخية من الفكر التربوي في مقدمة ابن خلدون "، عالم الفكر (مجلة دورية تصدر كل ثلاثة أشهر عن وزارة الإعلام في الكويت)، ع4 يناير فبراير، مارس، 1990.

سيد احمد عثمان: المسئولية الاجتماعية والشخصية المسلمة (دراسة نفسية تربوية)، ط2، الأنجلو، القاهرة، 1977.

السيد سابق: فقه السنة، ط2، مجـ1، دار الريان للتراث، القاهرة، 1988.

سيد قطب: في ظلال القرآن، مج ،6 جـ30، طـ12، دار الشروق، القاهرة ،1987.

سيد قطب: في ظلال القرآن، مجـ6، جـ29، طـ12، دار الشروق، القاهرة، 1987.

السيد محمد بدوي: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، 1967.

صلاح الدين إبراهيم حماد: معايير اختيار المعلم في الفكر الإسلامي كمدخل لضمان الجودة من وجهة نظر المشرفين التربويين وجماعة المديرين للمدارس، مجلة التربية، مج38، ع138، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والعلوم والثقافة، 2009.

عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق، طـ2، دار اقرأ، بيروت، 1986.

عبد الأمير شمس الدين: الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي، دار اقرأ، بيروت، 1985.

عبد الجواد سيد بكر: فلسفة التربية في الحديث الشريف، دار الفكر العربي، القاهرة، 1983.

عبد الحليم فتح الباب: التربية في القرآن والسنة الغايات والأهداف، عالم الكتب، القاهرة، 1996.

عبد الحميد عبد الله سلام: المدخل في العلوم التربوية، عالم الكتب، القاهرة، 1981.

عبد الحميد فايد: رائد التربية العامة وطرق التدريس، طـ4، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1980.

عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق: سمات المعلم الناجح في المنظور الإسلامي، المؤتمر العلمي الثالث: تربية المعلم العربي وتأهيله: رؤى معاصرة، كلية العلوم التربوية – جامعة جرش الخاصة،2010.

عبد الغنى عبود وآخرون: فلسفة التعليم الابتدائي وتطبيقاته، دار الفكر العربي، القاهرة، 1982.

عبد الغنى عبود: الأيديولوجية والتربية (مدخل لدراسة التربية المقارنة) ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1980.

عبد الغنى عبـود: التربية ومشكلات المجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة، 1980.

عبد الغنى عبود: الفكر التربوي عند الغزالي كما يبدو من رسالته أيها الولد، دار القلم العربي، القاهرة، 1982.

عبد الغنى عبود: في التربية الإسلامية، جـ2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991.

عبد الغنى عبود:" ابن الحاج العبدري " من أعلام التربية العربية الإسلامية، مجـ3، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1988.

عبد الفتاح تركي وآخرون: مفاهيم أساسية في التربية، مكتبة المعارف الحديثة، الاسكندرية، 1984.

عبد اللطيف محمد خليفة:" ارتقاء القيم دراسة نفسية "، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت)، ع160، إبريل، 1992.

عبد الله ناصح علوان: تربية الأولاد في الإسلام، جـ1، ط11، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

عبد الناصر زكى بسيوني: التربية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال دراسة كتب الصحابة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة، 1993.

عبد الهادي التازي: المفراوى وفكره التربوي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1986.

عبد الهادي التازي:" أحمد بن جمعه المفراوى من رجالات التربية في ديار المغرب "، من أعلام التربية العربية الإسلامية، مجـ4، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1988.

عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، ط8، مكتبة الدعوة الإسلامية، القاهرة، د. ت.

عرفات عبد العزيز: الاتجاهات التربوية المعاصرة دراسة في التربية المقارنة، ط2، الأنجلو، القاهرة، 1979.

عرفات عبد العزيز: المعلم والتربية دراسة تحليلية مقارنة لطبيعة المهنة، ط2، الأنجلو، القاهرة، 1982.

العقاد: التفكير فريضة إسلامية، دار القلم، القاهرة، د.ت.

على أحمد لبن: زاد المعلم، ط6، دار الوفاء، المنصورة، 1992.

على إدريس: " سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن الجزار القيرواني"، من أعلام التربية العربية الإسلامية، مجـ2 مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1988.

على بن سلطان القاري: (ت 1014هـ): تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء، تحقيق محمد على المرصفي، عالم الكتب، القاهرة، 1990.

على خليل أبو العنين: " الاهتمامات التربوية عند ابن خلاد الرامهرمزى"، من أعلام التربية العربية الإسلامية، مجـ2، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض،1988.

على خليل أبو العنين: " المضامين التربوية في فكر أبى حيان التوحيدي"، من أعلام التربية العربية الإسلامية، مجـ 2 مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1988.

على خليل أبو العنين: التربية الإسلامية وتنمية المجتمع الإسلامي، الركائز والمضامين، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، 1987.

على راشد: شخصية المعلم وأداؤه في ضوء التوجهات الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

على سالم انباهين: نظام التربية في عصر دولة المماليك في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية، جامعة طنطا، 1980.

عماد الدين خليل: " حاجى خليفة "، من اعلام التربية العربية الإسلامية، مجـ4 مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1988.

عماد الدين خليل:" ابن خلدون (722–808هـ) " من أعلام التربية العربية الإسلامية، مجـ4 مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1988.

عمر التومي الشيباني: من أسس التربية الإسلامية، ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، 1982.

الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ1، دار الريان للتراث، القاهرة، 1987.

الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ3، دار الريان للتراث، القاهرة، 1987.

الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ5، دار الريان للتراث، القاهرة، 1987.

الغزالي: رسالة أيها الولد، تحقيق على محى الدين القره داغى، دار الاعتصام، القاهرة، 1985.

الغزالي: مكاشفة القلوب، مكتبة الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1983.

فرغلي جاد احمد: " المعلم في الفكر التربوي الإسلامي"، مجلة كلية التربية، ع2، كلية التربية جامعة أسيوط، 1986.

القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، نشرها الأهوانى في كتابه التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1983.

قدري حافظ طوقان: العلوم عند العرب، مكتبة مصر، القاهرة، 1979.

القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ14، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.

القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.

القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ6، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985.

ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية الإسلامية التربوية، ط2، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، 1985.

ماجد عرسان الكيلاني:" ابن تيمية "، من أعلام التربية العربية الإسلامية، مجـ3 مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1988.

محروس سيد مرسى: " الأهداف التربوية من منظور إسلامي "، المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية، ح2، الأزهر ،8-13 مارس،1987.

محمد الغزالي: خلق المسلم، ط2، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1989.

محمد الهادي عفيفي: في أصول التربية (الأصول الفلسفية للتربية)، الأنجلو، القاهرة، 1978.

محمد سعد القزاز: الفكر التربوي في كتابات الجاحظ، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995.

محمد سمير حسانين: نظرات في مشكلات المجتمع من زاوية التربية، مؤسسة سعيد للطباعة، طنطا، 1986.

محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة ،1982.

محمد عبد القادر حاتم: الأخلاق في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988.

محمد عبد المنعم خفاجي: " الأستاذ أو المعلم في التربية الإسلامية "، التربية (مجلة محكمة تصدر اللجنة القطرية للتربية والثقافة والعلوم)، عدد103، السنة21، ديسمبر 1992.

محمد عطية الإبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1976.

محمد عطية الإبراشي: روح التربية والتعليم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

محمد فوزي العنتيل: التربية عند العرب (مظاهرها واتجاهاتها)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.

محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، جـ1، ط11، دار الشروق، القاهرة، 1988.

محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، جـ2، ط8، دار الشروق، القاهرة، 1988.

محمد لبيب النجيحى: في الفكر التربوي، جـ2، الأنجلو، القاهرة، 1981.

محمد منير مرسى: الاتجاهات المعاصرة في التربية المقارنة، عالم الكتب، القاهرة، 1993.

محمد منير مرسى: التربية الإسلامية، أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، القاهرة، 1983.

محمود السيد سلطان وآخرون: مدخل العلوم التربوية، مطبعة التقدم، طنطا، 1985.

محمود السيد سلطان: " النظرية التربوية في الإسلام "، المجلة العربية التربية (تصدر عن المنظمة العربية والعلوم والثقافة، مجـ3، ع1، مارس، 1983.

محمود حمدي زقزوق: مقدمة في علم الأخلاق، ط4، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.

محمود قمبر:" المؤدبون وصنعة التأديب، دراسة في التراث التربوي الإسلامي "، حولية كلية التربية، ع4، كلية التربية، ع4، جامعة قطر، السنة الرابعة 1985.

محمود قمبر:" مهنة التعليم في التراث العربي وانعكاساتها في التعليم المعاصر "، المجلة العربية للتربية، تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ع1، مارس، 1983.

مقداد يالجن: معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، ط2، دار عالم الكتب، الرياض،1991.

مقداد يالجن: معالم بناء نظرية التربية الإسلامية، ط2، دار عالم الكتب، الرياض،1991.

المكي أقلانية:" النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى " كتاب الأمة، ع34، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، فبراير، 1993.

منصور الرفاعي عبيد:" المعلم ودوره في تكوين شخصية الفرد المسلم "، المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية، جـ3، الأزهر الشريف، 8-13، مارس 1987.

المؤتمر التربوي المعلم الفلسطيني –الواقع والمأمول، الجامعة الإسلامية، غزة 2009.

ناجى التكريتي: الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، طـ3، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988.

ناهض صبحي فورة وطلال محمد خلف: إعداد المعلم في ضوء أخلاقيات الفكر التربوي الإسلامي

نبيل أحمد عامر صبيح: دراسات في إعداد وتدريب المعلمين، الأنجلو، القاهرة، 1981.

وهبي سليمان غاوي: " الإمام أبو حنيفة " من أعلام التربية العربية الإسلامية، مجـ1، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1988.

يوسف القرضاوي: الرسول والعلم، دار الصحوة للنشر، القاهرة، 1984.

يوسف القرضاوي: العقل والعلم في القرآن الكريم، طـ4، مكتبة وهبة، القاهرة، 2009.

التعريف بالمؤلف:

- ا.د. شريف محمد محمد شريف
- مواليد محافظة دمياط- جمهورية مصر العربية 1968/12/30.
- ليسانس آداب وتربية- لغة عربية 1991.
- معيد بقسم أصول التربية- كلية التربية بدمياط- جامعة المنصورة 1992.
- مدرس مساعد بقسم أصول التربية- كلية التربية بدمياط- جامعة المنصورة 1997.
- مدرس بقسم أصول التربية- كلية التربية بدمياط- جامعة المنصورة 2002.
- أستاذ مساعد بقسم أصول التربية- كلية التربية بدمياط- جامعة المنصورة 2008.
- أستاذ التخطيط التربوي بقسم أصول التربية- كلية التربية بدمياط- جامعة دمياط 2014.
- عمل أستاذا بقسم الإدارة والتخطيط التربوي- بكلية التربية- جامعة الباحة- بالمملكة العربية السعودية 2017.
- شارك في إعداد الجمعية العلمية السعودية للقيادة التربوية.
- عضو الجمعية العلمية السعودية للقيادة التربوية.
- له عدد من الأبحاث المنشورة في مجلات علمية بمصر وخارجها.
- أشرف وناقش عددا من رسائل الماجستير والدكتوراه.
- محكم للإنتاج العلمي للترقية لدرجة أستاذ وأستاذ مشارك ببعض الدول العربية.
- حكم عددا من الأبحاث العلمية المنشورة في مجلات علمية.
- إيميل:dsherifmohammed@gmail.com

الفهرس

مقدمة 7

الفصل الأول مكانة المعلم في الفكر التربوي الإسلامي 9

الفصل الثاني إعداد المعلم في الفكر التربوي الإسلامي 37

الفصل الثالث الدور الأخلاقي للمعلم في الفكر التربوي الإسلامي 61

الفصل الرابع آداب المعلم مع نفسه 87

الفصل الخامس آداب العالم مع الطلبة 107

الفصل السادس آداب المعلم في درسه 133

المراجع 161

كم لديك من السطور الجميلة التى أخذت منك الكثير من المجهود والاعتناء لكى تكون أفضل ما يمكن لتعبر بها عن شعور داخلى لم تستطع أن تشاركه مع أحد غيرك.

مهما كانت سطورك

قصص... روايات... أشعار... مقالات

باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية

تواصل معنا

لتشارك سطورك مع العالم

٠١١٢٢٣٨٠٤٤٣